التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ◎ العدد ٥٤٨ السنة السادسة والأربعون - شعبان ١٤٢٨ هـ

الثمن ٢ جنيهات

إدارة الغضب
بين التقييم والتقويم

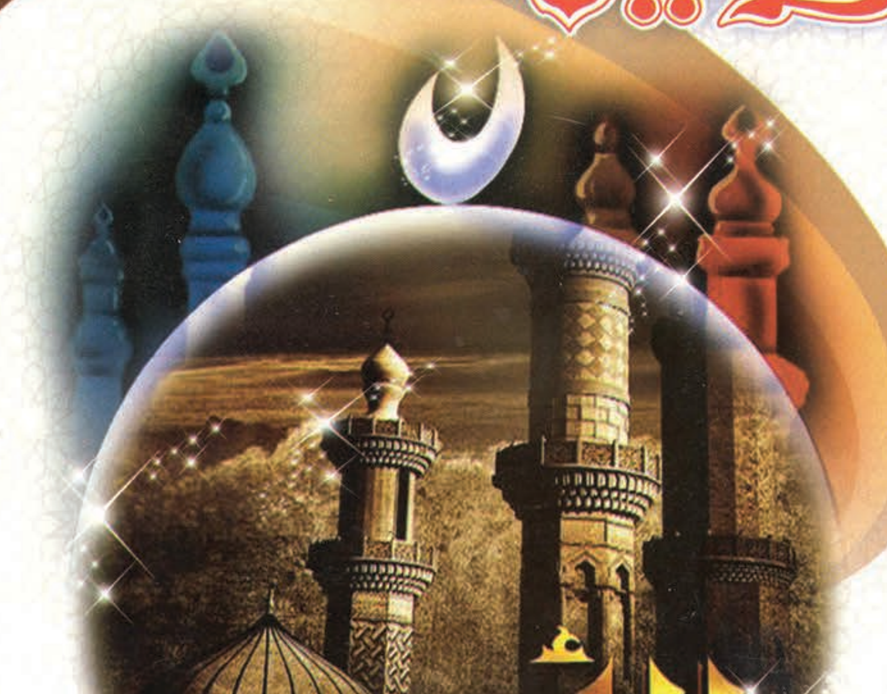

الأزهر

منارة تطل من مصر على الدنيا

- موقف أنصار السنة وعلمائها من أحداث العنف والغلو
- الاستعداد لرمضان بين التوكل والأخذ بالأسباب
- تنشئة الأولاد على الجبن والخوف والفزع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي
المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي
اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

التحرير
٨ شارع قولة عابدين . القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات
ت:٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM
المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر، برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

السلام عليكم

الشرف والكرامة

إلى الذين يتراكضون ويتزاحمون ويتقاتلون على حطام الدنيا الفاني، إلى الذين يلهثون إلى موائد الخلفاء والحكام، يتزلفون ويتقربون، وينافقون ويكذبون، لعلهم لقطعة لحم أو كسرة خبز أو منصب يصيبون. انظروا إلى من تعففوا عن الدنيا فجاءتهم صاغرة، ورغبوا فيما عند الله فأورثهم الدار الآخرة.

دخل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبدِ الله بن عمر بن الخطاب فقال له: يا سالم؛ سلني حاجةً!! فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله. فلما خرج سالم كانِ الخليفة في أثره فقال له: الآن قد خرجت، فسلني حاجة، فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا. فقال له سالم: ما سألتُ مَن يملكها فكيف أسأل مَن لا يملكها؟!

ومثله سفيان الثوري كان بمكةٍ، فجاءه كتاب من عياله من الكوفة: بلغت بنا الحاجة أنَّا نقلي النوى فنأكله فبكى سفيان. فقال له بعض أصحابه: يا أبا عبد الله! لو مررت إلى السلطان، صرت إلى ما تريد! فقال سفيان: (والله لا أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها؟!).

التحرير

مفاجأة
كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحتوي
على ٤٥ مجلداً من مجلدات مجلة التوحيد
عن ٤٥ سنة كاملة

رئيس التحرير:

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

في هذا العدد

افتتاحية العدد: موقف أنصار السنة وعلمائها
من أحداث العنف والغلو: الرئيس العام ٢
كلمة التحرير: الأزهر منارة تطل من مصر على الدنيا ٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٧
غزوة تبوك: عبد الرزاق السيد عيد ٩
فقر المشاعر: د. محمد إبراهيم الحمد ١٢
باب العقيدة: د. صالح الفوزان ١٤
الاقتصاد الإسلامي: د. حسين حسين شحاتة ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
باب السنة: الاستعداد لرمضان بين التوكل والأخذ بالأسباب:
د. مرزوق محمد مرزوق ٢٣
منبر الحرمين: د. علي عبد الرحمن الحذيفي ٢٦
اللقطة واللقيط: إعداد: محمد عبد العزيز ٣٠
باب الفقه: د. حمدي طه ٣٣
احذر هذه البدعة واحذر هذا الكتاب: سيد عباس الجليمي ٣٦
دراسات شرعية: متولي البراجيلي ٣٨
الأمانة في زمن الزمانة: د. عماد عيسى ٤١
الوصايا النبوية الجامعة: معاوية محمد هيكل ٤٤
واحة التوحيد: علاء خضر ٤٨
الأسرة المسلمة: تنشئة الأولاد على الجبن والخوف والفزع:
جمال عبد الرحمن ٥٠
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٣
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٧
من دروس تحويل القبلة: صلاح عبد الخالق ٦٠
إدارة الغضب بين التقييم والتقويم: د. ياسر لمعي ٦٤
العالم الإسلامي: رئيس التحرير ٦٦
الفكر الإسلامي: د. أحمد منصور سبالك ٦٨
فضائل الصيام في القرآن والسنة: المستشار أحمد السيد علي ٧٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش . السعودية ٦ ريالات . الإمارات ٦ دراهم . الكويت ٥٠٠ فلس. المغرب دولار أمريكي . الأردن ٥٠٠ فلس. قطر ٦ ريالات . عمان نصف ريال عماني . أمريكا دولاران . أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٥٠ جنيها بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين . مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن.

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

موقف أنصار السنة وعلمائها من أحداث العنف والغلو

الحلقة الثانية

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فاستكمالاً لما ذكرته في اللقاء الماضي عن جهود أنصار السنة في مواجهة الغلو، ووصلاً لحاضر الجماعة بماضيها أبيِّن هنا موقف الجمعية وعلمائها من أحداث العنف والغلو، فأقول وبالله التوفيق:

إن الناظر في موقف الجماعة والمتتبع لها في العقدين الآخرين من القرن الهجري الحالي سيجد بوضوح ما قامت به من أعمال مشكورة في مواجهة رموز الفكر التكفيري ودعاته لتحجيم هذه الظاهرة، ومحاولة القضاء عليها، ومن ذلك المقال الذي نشرته في مجلتها بعنوان «الغلو والتطرف في الفرق الإسلامية» للدكتور سعيد مراد، وقد أشار فيه إلى وجوب وحدة الأمة واعتصامها بحبل الله المتين، وتصحيح العقائد الفاسدة، وأهمية الاستقامة على الأصول والقواعد الثابتة التي أرسى قواعدها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم قال: «ودعوة الإسلام تقوم على التوسط والاعتدال، وترفض المغالاة والتطرف، وقد خاطب المولى نبيه صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من جماعة المسلمين بقوله: « فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ » (هود: ١١٢، ١١٣)، دعوة إلى الاستقامة والاعتدال وعدم الطغيان، وتحذير من الركون والائتناس إلى الظالمين من دعاة الانحراف والظلم والغلو والتطرف، ذلك أن الله مطَّلِع على معتقدات القلوب وأعمال الجوارح، وقد سلب المغالين نصره وتأييده، ولقد اعتصم الصحابة والتابعون من السلف الصالح بهذا المنهج، ولم تظهر الفرق الإسلامية من داخل المجتمع الإسلامي، وإنما نشأت وترعرعت على أيدي أعداء الإسلام». (مجلة التوحيد عدد ربيع الثاني ١٤١٦هـ).

قلتُ: هذا كلام سديد موفَّق، فالفِرَق الإسلامية على اختلاف مناهجها ووسائلها من صنع أعداء الملة، والملاحظ أن الله تعالى يخذل هؤلاء ويسلبهم نصره؛ كما ذكر الكاتب.

وتحت عنوان: «لا للإفساد في الأرض وترويع الآمنين» جاءت كلمة التحرير على غلاف المجلة الأول من الداخل، وفيه: «إن كان الذي فعل هذه الأحداث يراها جهادًا وقربة إلى الله، فإن الله تعالى قال: « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ »

(البقرة:١٩٠)، وكل القتلى والجرحى في الحادث مسلمين وغير مسلمين لم يكونوا مقاتلين، فقد قاتل الجاني في غير ميدان، فهو بذلك من المعتدين، والله لا يحب المعتدين، ولن يتقبل منهم نداءهم، وإن كان الذي فعل ذلك انتقامًا وتشفيًا فقد ظلم الأبرياء، وقد حرَّم الله الظلم، والله لا يهدي القوم الظالمين، وكيف سيواجه ثأرهم يوم القيامة حينما يقول أحدهم: يا رب سل هذا فيم قتلني؟ وإن كان فعَل ذلك إفسادًا؛ فإن الله لا يحب الفساد ولا يصلح عمل المفسدين، وإن كان الذي فعل ذلك من غير المسلمين لزعزعة استقرار بلادنا الآمنة، فالله ينبهنا بقوله: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ» (النساء:٧١)، حفظ الله مصرنا ووقاها الفتن ما ظهر منها وما بطن.. آمين. (مجلة التوحيد عدد ربيع الآخر ١٤٢٦هـ).

وفي السياق ذاته وفي نفس العدد كتب فضيلة الشيخ الدكتور عبد العظيم بدوي نائب الرئيس العام مقالاً بعنوان: «هذا بيان للناس»، ذكر فيه أن الأمن والأمان من أجلِّ نعم الله تبارك وتعالى على العباد، ومن أجل المحافظة على هذه النعمة أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ولاة الأمور وعدم الخروج عليهم، ثم أشار إلى هذه الحوادث التي وقعت في البلاد واستهدفت قتل السياح الأجانب، وبيَّن حفظه الله أن هذه الأعمال مخالفة للشريعة ولا يقرها الإسلام والمسلمون أبدًا، ثم ختم بيانه بقوله: «لكل هذا تستنكر أنصار السنة المحمدية هذه الحوادث، وتدعو شباب المسلمين إلى الإقبال على طلب العلم، الذي ينوِّر لهم الطريق، وأن يحرصوا على مجالسة العلماء الربانيين الذين يفقهونهم في الدين، ويعلمونهم الحلال والحرام، ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، وأخيرًا: نهمس في أذن كل شاب: إياك والحماسة، وإياك والاندفاع، كيف تقتل نفسك ترجو بذلك الجنة؟ والجنة حرام على من قتل نفسه، أو قتل نفسًا بغير حق».

ولما وقع تفجير ضخم ومروع في مدينة المنصورة أصدرت أنصار السنة بيانًا جاء فيه: «في حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وفي أول ساعات يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١٣/١٢/٢٤م روَّع المواطنين بمدينة المنصورة انفجارٌ هائل استهدف مديرية أمن الدقهلية، ونتج عنه تلفيات هائلة، وإزهاق لأرواح عدد كبير من الأبرياء من المواطنين من رجال الشرطة وإخوانهم المدنيين، فضلاً عن إصابة ما جاوز المائة.

ولا يختلف اثنان في أن هذا الفعل الإجرامي يؤكد بلا ريب استهانة فاعله بالدماء متغافلاً عن وعيد الله عز وجل لمن أراقها؛ حيث جمع المولى سبحانه للقاتل خمس عقوبات لم تجتمع لمرتكب كبيرة سواها، يقول سبحانه: «وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا» (الآية (٩٣) من سورة النساء).

ومن أراق هذه الدماء لا ريب أنه في غفلة عن هذا الوعيد، كما أنه في غفلة عن قول النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ» (أخرجه البخاري (٦٨٦٤) من حديث عبد الله بن مسعود)، وهذا الحديث يبين تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يُقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها.

والقاتل لا يُقبل منه التأويل الفاسد ليجني على غيره؛ لأن الأصل الذي لا يجوز أن يُحادَ عنه هو عصمة الدماء، وإن إراقتها من أشد المحرمات، ولا يجوز المساس بها إلا من قِبل ولي الأمر الذي أناط الله عز وجل به إقامة الحدود». (مجلة التوحيد، عدد ربيع أول ١٤٣٥هـ).

وفي نفس العدد كتب رئيس التحرير الأستاذ جمال سعد في كلمة التحرير مقالاً جاء فيه: «لقد أيقن الجميع مع اشتداد سلسلة التفجيرات التي انتقلت من سيناء لتضرب ربوع مصرنا الحبيبة في وسط الدلتا، من أجل استهداف الوطن وإشاعة الفوضى، بدعم وتخطيط من أعدائه، أن هناك محاولات دؤوبة تستهدف تمزيق البلاد، وتفتيت وحدتها، وتكدير أمنها، وتناسى هؤلاء أن الإسلام قد شدَّد أمر القتل وعظَّم إثمه، ولم يعصم دم المسلم فحسب، بل عصم دم المسلم ودم الكافر المستأمن، فحرَّم الاعتداء على من أمنَّه المسلمون؛ لأن المسلمين يدٌ على من سواهم يسعى بذمتهم

أدناهم، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: «إنَّ منْ وَرَطَات الأُمُور الَّتي لاَ مَخْرَجَ لمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فيهَا: سَفْكَ الدَّم الْحَرَام بغَيْر حلِّه». (رواه البخاري ٦٨٦٣).

إن محاولة إسقاط مصر، وإغراقها في الفوضى لهو خيانة عظمى، وجريمة كبرى لا تقع من مسلم مخلص، أو وطني صادق، وإن أخطر ما يهدد أمننا القومي: غياب السّلم المجتمعي، وانتشار روح الحقد والكراهية والانتقام».

وفي حوار أجراه رئيس التحرير مع الرئيس العام، سأل رئيس التحرير السؤال التالي: «ما قولكم في السلوك العدواني لبعض الناس تجاه مؤسسات الدولة؛ ظنًّا منهم أن هذه وسيلة تحقق لهم مطالبهم؟

فأجاب الرئيس العام: يجب أن يعلم الجميع أولاً أن الوسائل لها أحكام المقاصد، فالمقصد إن كان صحيحًا فالوسيلة المؤدية إليه لا بد أن تكون صحيحة سليمة من الناحية الشرعية، وأما ما يظن البعض من أن الغاية تبرِّر الوسيلة، فهو كلام باطل، ويؤدي إلى مفاسد عظيمة- نعوذ بالله منها-، وهل يمكن لعاقل فضلاً عن صاحب رأي ودين أن يقول هذا الكلام، أو يسلكه؟!

أما عن السلوك العدواني الذي سألتم عنه، فهو مرفوض شكلاً ومضمونًا، وليس من الإسلام في شيء، ونحن نحمد الله تبارك وتعالى أن عصمنا من الوقوع-على مدار تاريخ الجمعية- في شيء من ذلك، ونحن نحرص على سلامة الوطن ومؤسساته، وندافع عنها ونحميها، وكم حذرنا الشباب من الأعمال التخريبية أو الإجرامية!! وقلنا وكتبنا في ذلك الكثير.

وأذكر أنني كتبت في افتتاحية مجلة التوحيد في عدد ذي القعدة ١٤٣٠هـ مقالاً بعنوان: «يا شباب الإسلام متى كان التفجير من الإسلام؟»، وحذرت فيه من الفوضى والاعتداء، أو القتل والتفجير هنا وهناك، ونحن نرفض هذا المنهج والسلوكيات الخاطئة المنحرفة التي يقول بها البعض». (مجلة التوحيد، عدد ذي الحجة ١٤٣٤هـ).

ولم تقف جهود أنصار السنة في مواجهة الأفكار المنحرفة عند ذلك، بل كانت تطبع وتوزع الكتب التي تواجه الأفكار المنحرفة، وكان علماؤها يتناولون بيان ذلك في خطبهم ومحاضراتهم.

وأخيرًا أشير إلى الملف الخاص الذي أعدته الجماعة عبر مجلتها «التوحيد» عن براءة الإسلام من العنف والإرهاب، وقد اشتمل على سبعة مقالات، وختم ببيان للجماعة حول موقفها من الأحداث، ويمكن تلخيص ما اشتمل عليه هذا الملف في نقاط محدودة كما يلي:

- بيان مكانة الأمن في الإسلام، وحرص الشريعة عليه، وأمر الله تبارك وتعالى بالحفاظ عليه، والتصدي لكل من تسوِّل له نفسه إشاعة الفوضى، وزعزعة أمن واستقرار البلاد.
- تحريم الانتحار، وأن فاعل ذلك قد ارتكب جرائم متعددة منها: قتل النفس، وقتل غيره من الأنفس المعصومة التي حرَّم الله قتلها إلا بالحق، وقد توعد الله فاعل ذلك بعقوبة في الدار الآخرة من جنس فعله.
- تحريم الاعتداء على النفس المعصومة- مسلمين ومعاهدين ومستأمنين- وبيان أن فاعل ذلك متوعَّد بعذاب الجحيم.
- التأكيد على أن دين الإسلام انتشر بسماحة أهله، ونبل أخلاقهم، وحسن تعاملهم مع غيرهم، وأن أهل الأديان الأخرى كانوا يفرحون بدخول الإسلام بلادهم، ويشعرون بالأمان على أنفسهم وأديانهم وأموالهم وأعراضهم.
- نهى الإسلام عن قتل النساء والولدان والشيوخ والرهبان، وكل من لا يشارك في الحرب، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي قادة الجيوش قائلاً: «انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلاً صغيرًا، ولا امرأة، ولا تغلوا، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين».

هذه الأعمال تشوِّه جمال الإسلام، وتؤثر سلبًا على انتشاره، ويتخذها أعداؤه فرصة للطعن عليه، كما أنها تجعل الدول الإسلامية في حالة عداء دائم مع العالم.

وهناك أمور أخرى سوى ما ذكرت، ويمكن الرجوع إلى الملف ذاته في عدد ربيع الأول سنة ١٤٣٢هـ.

والله ولي التوفيق.

كلمة التحرير
التوحيد

الأزهر منارة تطل من مصر على الدنيا

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعدُ؛

يتعرض الأزهر الشريف- شعاع العلم والمعرفة الصحيحة التي تطل من مصر على العالم أجمع- لحملة شرسة تجاوزت تحميله- ظلمًا- مسئولية ظاهرة العنف العشوائي التي تروِّع الآمنين، تجاوزت ذلك إلى الطعن في ثوابت الأمة، والطعن في التراث الفكري والحضاري الذي جعل من أمتنا أمة رائدة على ظهر هذه الأرض لأكثر من عشرة قرون، والذي استلهمته أوروبا في بناء نهضتها الحديثة بما نهلته من التراث الإسلامي، ولقد تزامنت هذه الحملة الظالمة مع بروز ظاهرة «الإسلاموفوبيا» في الغرب، حتى لكأنهما جناحان لنزعة كراهية الإسلام، وتزييف صورته، وتشويه تراثه الذي كان الأزهر الشريف ولا يزال- رغم ما قد يعتريه من ضعف في بعض الأحيان- حارسه الأمين على امتداد تاريخ هذا الصراع الكبير.

ولقد انبرت بعض أجهزة الإعلام في الفترة الماضية في بثّ كل ألوان النقد؛ المشروع منه وغير المشروع، إلى الطعن الفجّ في ثوابت التراث الإسلامي، ومذاهب أهل السنة والجماعة المجسّدة لهوية الأمة وتميزها الحضاري بالدعوة إلى إحراق هذا التراث، وإهانة الأئمة والأعلام العدول الذين أسهموا في إبداعه وفي حمله وتناقله جيلاً بعد جيل، ولقد كنا في شغف لصدور بيان من الأزهر الشريف للرد على الرويبضة الذي يصف كتب التراث الإسلامي «بأنها كتب النفايات البشرية»، والتي يجب حرقها ودفنها، والكثير والكثير مما لفظته ألسنتهم، حتى صدر بيان هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، الذي أثلج الصدور، ونعتز بنشره كاملاً كما ورد، وبالله التوفيق.

بيان هيئة كبار العلماء بالأزهر

إنَّه في يوم الثلاثاء ٢٢ من رجب ١٤٣٨هـ الموافق ١٨ من أبريل ٢٠١٧م اجتمعت هيئةُ كبارِ العُلَماء في جلستها الدوريَّة برئاسة فضيلة الإمامِ الأكبر أ.د/ أحمدَ الطيب، شيخ الأزهر الشريف، وناقشت عددًا من القضايا، ثم أصدرت البيانَ التالي:

- تتقدم هيئة كبار العلماء بخالص التعازي للإخوةِ الأعزَّاءِ الأقباط والشعب المصري أجمع في ضَحايا التفجيرَيْن الإرهابيَّيْن اللَّذَيْن استهدَفا وَحْدَةَ المصريِّينَ وتماسُكَهم قبل أن يَستَهدِفا كنيستي مارجرجسِ بطنطا والكنيسة المرقسية بالإسكندرية، سائلةً المولى- عزَّ وجلَّ- أن يُلهِمَ أهلَهم وذَويهم الصبرَ والسُّلوانَ، وأن يَمُنَّ على المُصابين بالشِّفاءِ العاجِلِ، وأن يَمسَحَ على قلوب المكلومين

والمحزونين، إنَّه أرحَمُ الراحمين.

وتُعلن هيئة كبار العلماء وُقوفَ الأزهر الشريف إلى جانب الكنيسة المصريَّة في وجه كلِّ مَن يعتدي عليها أو يَمسُّها بسُوءٍ، كما تُؤكِّدُ الهيئةُ أنَّ الشعبَ المصري الأبي قادرٌ بصُموده مع مؤسسات الدولة المصريَّةِ على دَحْرِ قُوَى التَّطرُّفِ والإرهابِ التي فشلتْ كلُّ مُخطَّطاتها الخبيثة في النَّيْلِ من صُمودها، ومن وَحدَة نَسيجهم الوطنيِّ.

وتُؤكِّدُ للكافة أنَّ ما وقَع من تفجيرات آثمة استهدفت مُواطنين أبرياءَ ودُورًا للعبادة أمرٌ خارجٌ عن كُلِّ تعاليم الإسلام وشريعته التي حَرَّمت الاعتداءَ على النَّفس الإنسانيَّة أيًّا كانت ديانتُها أو كان اعتقادُها، وحرَّمَت أشدَّ التحريم استهدافَ دُور العبادة، وفرضت على المسلمين حمايتَها، وأوجبتْ حُسنَ مُعامَلة غير المسلمين ومودَّتهم والبرَّ بهم، وقد أكَّد القُرآنُ الكريمُ على حُرمة دُور العبادة في نصٍّ صَريح في القُرآن الكريم: «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا» (الحج: ٤٠).

هذا.. ويُحرِّمُ الإسلامُ على المسلم تحريمًا قاطعًا تَفخيخَ نفسه وتفجيرَها في وسَط الأبرياء، وجعَل جَزاءَه الخلودَ في جهنَّم، فقال النَبي الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم: «مَن قتَل نفسَه بشيءٍ عُذِّبَ به يومَ القيامة»، واعتداءُ هؤلاء المجرمين البُغاة على الأبرياء هو إيذاءٌ لرسول الله نفسه صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث النبوي الشريف.

وتُؤكِّدُ الهيئة على أنَّ مناهجَ التعليم في الأزهر الشريف في القَديم والحديث هي- وحدَها- الكفيلةُ بتعليم الفكَر الإسلاميِّ الصحيح الذي يَنشُرُ السلامَ والاستقرارَ بينَ المسلمين أنفسهم، وبين المسلمين وغيرهم، تَشهَدُ على ذلك الملايين التي تخرَّجت في الأزهر من مصرَ والعالم، وكانوا- ولا يزالون- دُعاةَ سلام وأمنٍ وحُسن جوار، ومن التدليس الفاضح وتزييف وعي الناس وخيانة الموروث تشويه مناهج الأزهر واتهامها بأنها تُفرخ الإرهابيين.

والحقيقة التي يَتنكَّرُ لها أعداء الأزهر بل أعداء الإسلام هي أن مناهج الأزهر اليوم هي نفسها مناهج الأمس التي خرَّجت روَّاد النهضة المصرية ونهضة العالم الإسلامي بدءًا من حسن العطار ومرورًا بمحمد عبده والمراغي والشعراوي والغزالي، ووصولاً إلى رجال الأزهر الشرفاء الأوفياء لدينهم وعلمهم وأزهرهم، والقائمين على رسالته في هذا الزمان.

وعلى هؤلاء المنكرين ضوء الشمس في وضح النهار أن يلتفتوا إلى المنتشرين في جميع أنحاء العالم من أبناء الأزهر، ومنهم رؤساء دول وحُكومات ووزراء وعلماء ومُفْتُون ومُفكرون وأدباء وقادة للرأي العام، ويتدبروا بعقولهم كيف كان هؤلاء صمام أمنٍ وأمان لشعوبهم وأوطانهم، وكيف كان الأزهر بركةً على مصر وشعبها حتى جعل منها قائدًا للعالم الإسلامي بأسره.. وقبلة علمية لأبناء المسلمين في الشرق والغرب.

وليَعلَمْ هؤلاء أنَّ العَبَثَ بالأزهر عَبَثٌ بحاضر مصر وتاريخها وريادتها، وخيانة لضمير شعبها وضمير الأمة كلها..

وتُطَمئِنُ هيئةُ كبار العلماء المصريين جميعًا، والمسلمين كافةً حول العالم، أنَّ الأزهرَ قائمٌ على تحقيق رسالته، وتبليغ أمانة الدين والعلم للناس كافَّة، تلك الأمانة التي يحملُها على عاتقه في الحفاظ على الإسلام وشريعته السمحة على مدى أكثر من ألف عام، وسيظلُّ الأزهر الشريف قائمًا على هذه الرسالة حاملاً لهذه الأمانة إلى أن يَرثَ اللهُ الأرض ومَن عليها، حصنًا منيعًا للأمَّة من الأفكار التكفيريَّة والمتطرِّفة التي تسعى للعبث بتراث الأمة وتفريغه من مواطن القوة والصمود في وجه التحديات العاصفة بالأوطان والأجيال.

«الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا» (الأحزاب: ٣٩). انتهى البيان.

ويأتي بيان هيئة كبار العلماء بالأزهر ردًا على تحالفات العلمانيين والماركسيين، وبعض وسائل الإعلام في حرب شرسة على الإسلام وتراثه الفكري والحضاري، والهجوم على الأزهر؛ الذي سيظل محفوظًا بحفظ الله له، وهو من اتخذ من نفسه حارسًا على الشريعة وعلومها، والعربية وآدابها، وهما جماع هوية الأمة؛ تلك الرسالة المقدَّسة التي رابط علماؤه على ثغورها منذ ما يزيد على ألف عام.

وسيظل الأزهر-كما كان العهد به على مر تاريخه- الحصن الحصين لتراث الأمة وهويتها الحضارية مهما اعتراه من ضعف ووهن أصيبت به الأمة كلها في مواجهة مختلف التحديات، مهما كانت شراسة هذه التحديات، ومهما كانت الجبهات التي تقف وراءهم.

وان الأزهر-بإذن الله وحوله وقوته- سيكون لهم بالمرصاد، وسيظل رمزًا لأهل السنة والجماعة كما كان، ولقد صدق الله العظيم جل علاه وهو القائل: «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (الصف:٨).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ (١٦) وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٧) أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَـٰسِرِينَ (١٨) وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ »

(الأحقاف: ١٦- ١٩).

باب التفسير

سُورَةُ الأَحْقَافِ

الحلقة التاسعة

إعداد/ **د. عبد العظيم بدوي**

قَالَ تَعَالَى: « أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ »:

«أولئك» المَوْصُوفُونَ بِهَذه الأَوْصَاف الْجَمِيلَة «الَّذيـنَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَملُوا»، وَفي المُقَابِل: «وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ»، وَإذا تَجاوَزَ اللَّه تَعَالَى عَنْ إنْسَانٍ، وَتَقَبَّلَ مِنْهُ صَالِحَ الأَعْمَالِ، كَانَ «فِي أَصْحَابِ الْجَنَّة»، «فِي» بِمَعْنَى مَعَ، أَيْ مَعَ أَصْحَابِ الْجَنَّة، تَقُولُ: أَكْرَمَكَ وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ فِي جَمِيعِ أَهْلِ الْبَلَد، أَيْ مَعَ جَمِيعِهِمْ. «وَعْدَ الصِّدْقِ» نُصِبَ لأَنَّهُ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِمَا قَبْلَهُ، أَيْ وَعَدَ اللَّه أَهْلَ الإِيمَان أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَعْدَ الصِّدْقِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ إِضَافَة الشَّيْءِ إلَى نَفْسِه، لأَنَّ الصِّدْقَ هُوَ ذَلِكَ الْوَعْدُ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّه، وَهُوَ كَقَوْلِه تَعَالَى: « إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ » (الواقعة: ٩٥). (الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٩٦)).

وَلَمَّا ضَرَبَ اللَّه مَثَلاً لِلْوَلَدِ الْبَارِّ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِذِكْرِ مَثَل الْوَلَد الْعَاقِّ، فَقَالَ: « وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٧) أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَـٰسِرِينَ » (الأحقاف: ١٧- ١٨).

قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّه: "هَذَا نَعْتٌ مِنَ اللَّه تَعَالَى ذِكْرُهُ، نَعتَ ضَالٍّ بِه كَافِرٌ، وَبِوَالِدَيْه عَاقٌّ، وَهُمَا مُجْتَهِدَانِ فِي نَصِيحَته وَدُعَائه إلَى اللَّه، فَلا يَزِيدُهُ دُعَاؤُهُمَا إِيَّاهُ إلَى الْحَقِّ وَنَصِيحَتُهُمَا لَهُ إِلاَّ عُتُوًّا وَتَمَرُّدًا عَلَى اللَّه، وَتَمَادِيًا فِي جَهْلِه، يَقُولُ اللَّه جَلَّ ثَنَاؤُهُ: «وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْه» أَنْ دَعَوَاهُ إلَى الإِيمَان بِاللَّه، وَالإِقْرَار بِبَعْث اللَّه خَلْقَهُ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَمُجَازَاته إِيَّاهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ «أُفٍّ لَكُمَا»، يَقُولُ: قَذَرًا لَكُمَا وَنَتْنًا، «أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ» مِنْ قَبْرِي-مِنْ بَعْد فَنَائِي وَبَلائِي فِيه- حَيًّا «وَقَدْ خَلَت الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي» وَلَمْ يُبْعَثْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى أَهْلِه مِنْهُمْ

أَحَدٌ، فَهَلْ هَذَا إلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ. (جامع البيان (١٩/٢٦)).

وَهَذِه هَي شُبْهَةُ الْمُنْكرِينَ للْبَعْث،كَمَا قَالَ تَعَالَى: « وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ » (الجاثية: ٢٥)، وقال تعالى: « إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ » (الدخان: ٣٤- ٣٦)، وَلَوْ كَانُوا يَعْقلُونَ لَعَلمُوا أَنَّ الَّذي خَلَقَهُمْ أَوَّلَ مَرَّة قَادرٌ عَلَى أنْ يُحْيِيَهمْ بَعْدَ مَوْتهمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا » (مريم: ٦٦- ٦٧).

وَقَالَ تَعَالَى: « أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ » (يس: ٧٧- ٧٩).

وَقَالَ تَعَالَى: « أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ» (القيامة: ٣٦- ٤٠).

وقال تعالى: « فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ » (الطارق: ٥- ٨).

وَالآيَاتُ فِي ذَلكَ كَثيرَةٌ، وَلَكنَّ الْقَوْمَ كَمَا وَصَفَهُمُ اللّه: « لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ » (الأعراف: ١٧٩).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَهُمَا يَسْتَغيثَان اللّه» أَي يَسْتَصْرخَان اللّه عَلَيْه، وَيَسْتَغيثَانه عَلَيْه أَنْ يُؤْمنَ بالله، وَيُقرَّ بالْبَعْث، وَيَقُولاَن لَهُ: «وَيْلَكَ آمنْ» أَيْ صَدّقْ بوَعْد اللّه، وَأَقرَّ أَنَّكَ مَبْعُوثٌ منْ بَعْد وَفَاتكَ، «إنَّ وَعْدَ اللّه» الَّذي وَعَدَ خَلْقَهُ أَنَّهُ بَاعثُهُمْ منْ قُبُورهمْ، وَمُخْرجُهُمْ منْهَا إلَى مَوْقف الْحسَاب لمُجَازَاتهمْ بأعْمَالهمْ «حَقٌّ» لاَ شَكَّ فيه، «فَيَقُولُ» عَدُوُّ اللّه مُجيبًا لوَالدَيْه، وَرَدًّا عَلَيْهمَا نَصيحَتَهُمَا، وَتَكْذيبًا بوَعْد اللّه: «مَا هَذَا» الَّذي تَقُولاَن لي وَتَدْعُوَاني إلَيْه منَ التَّصْديق بأَنّي مَبْعُوثٌ منْ بَعْد وَفَاتي منْ قَبْري، «إلاَّ» مَا سَطَرَهُ الأَوَّلُونَ منَ النَّاس منَ الأَبَاطيل، فَكَتَبُوهُ، فَأَصَبْتُمَاهُ أَنْتُمَا فَصَدَّقْتُمَا. (جامع البيان (١٩/٢٦و٢٠)).

قَالَ تَعَالَى: «أُولَئكَ» الْمَوْصُوفُونَ بمَا ذُكرَ منَ الْكُفْر بالله وَالتَّكْذيب بلقَائه هُمُ «الَّذينَ حَقَّ عَلَيْهمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ منْ قَبْلهمْ منَ الْجنِّ وَالإنْس»، وَالْمُرَادُ بالْقَوْل مَا صَرَّحَ اللّه به فِي قَوْله لإبْليسَ: « قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ » (ص: ٨٤- ٨٥)، وَقَالَ تَعَالَى: « وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ » (السجدة: ١٣).

وَمَنْ حَقَّتْ عَلَيْه كَلمَةُ الْعَذَاب خَابَ وَخَسرَ، وَلذَلكَ قَالَ تَعَالَى: «إنَّهُمْ كَانُوا خَاسرينَ».

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلكُلٍّ دَرَجَاتٌ ممَّا عَملُوا وَليُوَفّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ»: التَّنْوينُ فِي قَوْله: «وَلكُلٍّ» عوَضٌ عَنْ جُمْلَة، وَالتَّقْديرُ وَلكُلٍّ منَ الْفَريقَيْن: الْمُؤْمن الْبَارّ وَالْكَافر الْعَاقّ «دَرَجَاتٌ ممَّا عَملُوا»، الْبَارُّ لَهُ دَرَجَاتٌ فِي الْجَنَّة، فِي أَعْلَى علّيّينَ، وَالْكَافرُ الْعَاقُّ لَهُ دَرَكَاتٌ فِي أَسْفَل سَافلينَ، «وَليُوَفّيَهُمْ» رَبُّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقيَامَة «أَعْمَالَهُمْ» كَمَا وَعَدَ سُبْحَانَهُ حَيْثُ قَالَ: « كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ » (آل عمران: ١٨٥)، وَقَالَ تَعَالَى: « وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » (هود: ١١١)، «وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ»، فَلاَ الْمُحْسنُ يُبْخَسُ حَقَّهُ، وَيُنْقَصُ منْ حَسَنَاته، وَلاَ الْمُسيءُ يُزَادُ فِي سَيّئَاته، إنَّمَا الأَمْرُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: « مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (الأنعام: ١٦٠)، وَقَال تَعَالَى: « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا » (النساء: ٤٠)، وَقَال تَعَالَى: « وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ» (الأنبياء: ٤٧).

وللحديث بقية إن شاء الله.

غزوة تبوك

إعداد/ **عبد الرزاق السيد عيد**

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وصلى الله وسلم على رسوله النبيِّ الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلم تكن غزوة تبوك نزهةً بَرِّية ولا رحلةَ صيد، لكن كان السفر طويلاً والزاد قليلاً والحر شديدًا، ولم تكن غزوة تبوك لقاءً بين جيش المسلمين وقبيلة من قبائل العرب أو مجموعة قبائل أو أهل الجزيرة العربية كلها، لا، بل كانت صدامًا بين جيش المسلمين وبين أقوى جيش على وجه الأرض في ذلك التوقيت؛ جيش الروم وقد انضمت إليه القبائل المتنصرة الخاضعة لدولة الروم في شمال الجزيرة، كانت صدامًا بين دولة الإسلام الوليدة وبين دولة الروم العتيدة، والتي بسطت سلطانها على العالم وخصوصًا بعد انتصارها على الفرس؛ وهما القوتان اللتان تحكمان العالم في ذلك التاريخ وعندما انتصرت الروم على فارس غلبت بسلطانها على أهل الأرض كلهم ما عدا أرض الحجاز التي أشرق فيها نور الإسلام ونشأت فيها دولة الإسلام بقيادة النبيِّ الأمي محمد عليه الصلاة والسلام.

ونحن اليوم في حديثنا عن تبوك؛ هذه الغزوة الفاصلة في تاريخ الإسلام لن نستطيع أن نستوعب كل تفاصيل هذا الحديث العظيم فحسبنا أن نقف معه وقفات أسأل الله أن يكون فيها عظة لمن يتعظ وتذكرة لمن يتذكر.

الوقفة الأولى: أسماء الغزوة:

١- اشتهرت هذه الغزوة باسم «تبوك»، وهو المكان الذي انتهى إليه الجيش الإسلامي على الحدود الشمالية بين الجزيرة العربية والشام، وهي المدينة المعروفة الآن والتي تقع على الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية مع الأردن.

٢- ولها اسم آخر وهو غزوة العسرة، وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في سورة التوبة، حيث قال تعالى: « لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » (التوبة:١١٧)، وقد روى الإمام البخاري بسنده إلى أبي موسى الأشعري، قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة وهي غزوة تبوك. وعنون البخاري لها بقوله: «باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة». (البخاري: ٤٤١٥).

ولقد سميت بهذا الاسم لما كان فيه المسلمون من ضنك وجفاف في المدينة وقلة موارد، ولشدة الحر في ذلك التوقيت وقيظ الصيف، ولطول المسافة؛ فتبوك تبعد عن المدينة بما يزيد عن ألف كيلو متر، بالإضافة إلى ندرة المؤنة وقلة الظهر الذي يركبونه من الخيل والإبل وقلة المال والسلاح.

٣- ولها اسم ثالث ذكره أهل التاريخ والسير وهو «الفاضحة»، وسبب تسميتها بهذا الاسم أنها كشفت عن حقيقة المنافقين وهتكت أستارهم، وأظهرت أحقادهم الدفينة على الإسلام والمسلمين وامتناعهم عن الخروج للقتال وتعاونهم مع أعداء الإسلام ضد المسلمين في الخفاء والإعلان ومحاولتهم قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وقد جاءت آيات سورة التوبة صريحة في ذلك، وسنعرض لها قريبًا بإذن الله.

الوقفة الثانية: أسبابها:

هنالك أسباب مباشرة وغير مباشرة، والسبب العام أو غير المباشر ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره عن قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ » (التوبة:١٢٣)، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «أمر الله المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجًا؛ شرع في قتال

أهل الكتاب فتجهز لغزو الروم»، وهذا الذي ذكره ابن كثير هو استجابة طبيعية لطبيعة الجهاد التي قام عليها الإسلام ليكون الدين كله لله.

وبهذا يضع الرسول صلى الله عليه وسلم الأساس لفتوحات المسلمين التي وقعت في عصر الخلفاء بعده لكن الذي استدعى خروج النبي على رأس جيش العسرة في هذا الظرف الحرج مع شدة الحر وقلة المؤونة، وضعف العتاد وقلة الظهر هو سبب مباشر آخر يضاف للسبب الأول ألا وهو تجمع الروم ومن يواليهم من القبائل العربية لخم وجذام وغسان وغيرهم، وتجهز جيش قوامه ستون ألفًا بالسلاح والعتاد، وقد تحركوا فعلاً حتى وصلوا إلى البلقاء على أطراف الأردن فلم يكن من بد أن يخرج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ولا ينتظر حتى يأتوا إليه، أراد أن يعاجلهم قبل أن يأتوا إلى المدينة لأنه قال يوم الأحزاب وبعد انتهائها: "اليوم نغزوهم ولا يغزوننا".

ولهذا السبب أمر بالإسراع والخروج إليهم بالرغم من العسرة والشدة التي كان يعاني منها المسلمون في المدينة لأن التأخير لا يجوز في هذه الحالة وعمومًا الأمران متلازمان فالله سبحانه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأعداء الله ورسله لا يريدون ذلك، واقرأ إن شئت قول الحق تبارك وتعالى: «يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ» (التوبة:٣٢، ٣٣).

والله سبحانه أمر بالجهاد وحث عليه واشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم لتكون كلمة الله هي العليا، لكن المشركين والكافرين من عباد الأصنام ومن أهل الكتاب والمنافقين يريدون حرب الإسلام وأهله والقضاء على الإسلام وأهله، ولكن جهاد الدفع مقدم على جهاد الطلب، وخصوصًا إذا اجتمع الأعداء وأرادوا بالإسلام والمسلمين كيدًا كما حدث هنا في هذه الغزوة.

الوقفة الثالثة: حديث القرآن عن غزوة تبوك (العسرة):

استفاض حديث القرآن عن تبوك بصورة لم تحدث في أي غزوة أخرى فتحدث عنها قبل الخروج لاستنهاض المسلمين، وحثهم على الجهاد بالنفس والمال، وتحدث عنها أثناء الذهاب وأثناء الإياب، وفي أثناء المكوث في تبوك وتحدث حديثًا طويلاً عن المنافقين وعن المتخلفين عن الغزوة منهم وعن المحرضين والمعتذرين بأعذار واهية وكشف خبيئة قلوبهم وفضحهم عيانًا، وحرَّض عليهم، وتحدث عن مسجد الضرار الذي اتخذوه وكرًا للتخطيط ضد الإسلام والتعاون مع إخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ومن المشركين، كما تحدث عن الذين تخلفوا من المسلمين الصادقين بغير عذر، وتحدث عن الذين منعهم العذر من الخروج من الجيش، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع؛ لأنهم لا يملكون الظهر الذي يخرجون عليه، ولم يجد النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم عليه، فكتب الله لهم الأجر وهم بالمدينة.

إذن فقد وَاكَبَ القرآن الكريم الغزوة في جميع مراحلها وتكاد سورة التوبة كاملة تتحدث عن هذه الغزوة العظيمة الفاصلة.

الوقفة الرابعة: تسارع المؤمنين في الاستجابة:

حذر الله المؤمنين من التقاعس عن الجهاد فقال سبحانه وتعالى: «إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» (التوبة:٣٩)، أي: اعلموا أيها المؤمنون أن الله ناصر دينه بكم أو بغيركم فاحذروا، ثم أمرهم بالخروج للجهاد شبابًا وشيبانًا فقراء وأغنياء بالنفس والمال كل بما يستطيع لأن ذلك هو طريق الخير والرشاد في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: «ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» (التوبة:٤١)، فتسارع أهل الصدق والإيمان للإنفاق في سبيل الله، وكان صاحب القدح المعلى في ذلك هو عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، حيث قام بتجهيز ثلاثمائة بعير بكامل عتادها، ووضع ألف دينار نقدا في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ يقلبها وهو مسرور ويقول: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»، وظل يردد هذه العبارة، كما روى عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه كما عند الترمذي والمسند.

وأما أبو بكر رضي الله عنه فتصدق بكل ماله وكان أربعة آلاف درهم، وعمر رضي الله عنه جاء بنصف ماله، أما عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقد جاء بألفي درهم وهي نصف أمواله لتجهيز جيش العسرة، وكذلك جاء العباس بن عبد المطلب

وطلحة بن عبيد الله ومحمد بن مسلمة وعاصم بن عدي رضي الله عنهم جميعًا، جاءوا بأموال كثيرة.

وجاء أيضاء فقراء الصحابة بما يستطيعون لينالوا شرف المسارعة في الخير، بلغ جيش المسلمين ثلاثين ألفًا، وكان نصيب عثمان تجهيز ثلث الجيش رضي الله عنه.

أما أهل النفاق فقد بخلوا بأموالهم وضنوا بأنفسهم عن الخروج ولم يسلم منهم لا الأغنياء الذين أنفقوا الكثير ولا الفقراء الذين أنفقوا القليل وسلقوهم بألسنة حداد وهم أشحة بالخير، فنزل فيهم قول الحق تبارك وتعالى: « ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (التوبة:٧٩)؛ لأن المنافقين قالوا عن بعض الأغنياء الذين أنفقوا الكثير: ما فعلوا ذلك إلا رياء وسمعة، وقالوا عن الفقراء الذين جاؤوا بالقليل: «إن الله غني عن صدقة هذا». فهذا حالهم يبخلون بالقليل والكثير ويطلقون ألسنتهم في أعراض المؤمنين فتوعدهم الله بالعذاب الأليم.

الوقفة الخامسة: مع بعض الدروس المستفادة:

مما لا شك فيه أن الدروس المستفادة من هذه الغزوة العظيمة تحتاج إلى سِفر كبير لكننا سنذكر هنا ما تيسر، والله المستعان:

١- إن في مسارعة الموسرين من الصحابة إلى البذل والإنفاق السخي دليلاً على ما يفعله الإيمان الصادق في النفوس، لذا فخير ما يفعله المصلحون والقادة هو غرس الإيمان الصادق والدين الصحيح في النفوس غرسًا؛ إن راموا نصر الأمة على أعدائها.

٢- لقد كان لهذه الغزوة أثر عظيم لا يقل روعة وجلالاً عن فتح مكة، ولئن كان فتح مكة قد نبه العرب إلى حقيقة كانت غائبة عن عقولهم وهي إدراك الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كانت غزوة تبوك داعية لهم لأن يسرع من بقي إلى الدخول في الإسلام وإلى التخلص من التبعية للرومان، وفعلاً دخلت القبائل الشمالية في الإسلام إلا القليل الذي قبل الجزية والبقاء على دينه تابعًا لدولة الإسلام.

٣- ولقد كان قرار الروم وهم البادئون بالخروج- وهم في بلادهم- كان قرارهم باللجوء والتحصن في بلادهم حتى لا يدركهم المسلمون دليلاً على قوة المسلمين التي لا يستطيع أحد الوقوف أمامها، فهؤلاء الروم هم الذين هزموا الفرس وأخرجوهم من جنوب الجزيرة فروا وانسحبوا أمام المسلمين علام يدل ذلك.

٤- يدل انسحاب الروم أمام المسلمين على أن المسلمين يملكون قوة لا يملكها غيرهم ألا وهي في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «نصرتُ بالرعب مسيرة شهر». (متفق عليه)، فالرعب الذي نصر النبي صلى الله عليه وسلم به في معاركه المختلفة سلاحٌ لا يملكه إلا الله سبحانه وتعالى، « إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ » (الأنفال:١٢).

فهذا دليل على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه سيملك ما تحت عرش هرقل وأنه ملك هذه الأمة قد ظهر، ولا بد أن نربط بين تبوك وما بشر به النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الخندق من رؤيته لقصور الشام وفارس واليمن، فقد تحقق دخول اليمن في الإسلام وسيتحقق دخول الشام وفارس وما حولهما كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

لقد تحققت آيات عظيمة في هذه الغزوة في الذهاب والإياب، منها:

- بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في كثرة الطعام وزيادته.
- ومنها: نجاة النبي صلى الله عليه وسلم حين التف حوله جماعة من المنافقين عند إحدى الثنايا في طريق العودة والذين نزل فيهم قول الحق تبارك وتعالى: « وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ » (التوبة:٧٤)، فهزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخذلهم الله فانصرفوا ولم يمس الرسول صلى الله عليه وسلم سوء لأن الله عاصمه من الناس.
- ومن الدروس المستفادة أيضًا أن المرء يثاب بنيته الصالحة إذا عجز عن فعل الخير الذي يريد بسبب خارج عن طاقته، وهم الفقراء الذين كانوا يريدون الخروج فلم يجدوا ما يحملهم الرسول عليه ولم يكن عندهم ما يركبون، وهم الذين عناهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «لقد خلفتم بالمدينة رجالاً ما قطعتم واديًا ولا سلكتم طريقًا إلا شركوكم في الأجر». (رواه مسلم).

هذا ما تيسر إيراده خشية الإطالة، أسأل الله أن ينفع به الكاتب والقارئ، ونسأل الله سبحانه أن يصلح أحوالنا وأعمالنا.

فقر المشاعر

فقر المشاعر بين الزوجين

الحلقة الرابعة

إعداد/ د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

لا يزال الحديث متصلاً عن فقر المشاعر بين الزوجين، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

مساوئ كفر النعمة وجحود الفضل:

ثم إن من حق الزوج على زوجته أن تعترف له بنعمته، وأن تشكر له ما يأتي به من طعام، ولباس، وهدية ونحو ذلك مما هو في حدود قدرته، وأن تدعو له بالعوض والإخلاف، وأن تظهر الفرح بما يأتي به؛ فإن ذلك يُفرحه، ويبعثه إلى المزيد من الإحسان.

كما يحسن بالزوجة أن تستحضر أن الزوج سببُ الولد، والولدُ من أجلِ النعم، ولو لم يكن من فضلِ الزوج إلا هذه النعمة لكفاه، «فمهما تكن الزوجة شقية بزوجها فإن زوجها قد أولدها سعادتها، وهذه وحدها مزية ونعمة». (وحي القلم للرافعي ١/٢٩٢).

أما كفر النعمة، وجحود الفضل، ونسيان أفضال الزوج؛ فليس من صفات الزوجة العاقلة المؤمنة، فهي بعيدة عما لا يرضي الله عز وجل، فجحود فضل الزوج سماه الشارع كفرًا، ورتّب عليه الوعيد الشديد، وجعله سببًا لدخول النار.

قال صلى الله عليه وسلم: «رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء». قالوا: لمَ يا رسول الله؟ قال: «يكفرن الإحسان، لو أحسنتَ إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط». (البخاري: ٢٩؛ ومسلم: ٩٠٧).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه». (السلسلة الصحيحة: ٢٨٩).

وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: «مر بي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا وجوار أترابٌ لي؛ فسلَّم علينا، وقال: «إياكن وكفر المُنعَّمين». وكنت من أجرئهن على مسألته، فقلت: يا رسول الله، وما كفرُ المنعَّمين؟ قال: «لعل إحداكن تطول أيمتها عند أبويها، ثم يرزقها الله زوجًا، ويرزقها ولدًا، فتغضب الغضبة، فتكفر، فتقول: ما رأيت منك خيرًا قط». (رواه أحمد: ٦/٤٥٧، والبخاري في الأدب المفرد: ١٤٨، وصححه الألباني في الأدب المفرد: ٨٠٠).

خلل تقع فيه بعض الزوجات:

ومن الخلل الذي تقع فيه بعض الزوجات في هذا الباب: قلة المراعاة لأحوال الزوج ومشاعره، فقد تزعجه بالأخبار السيئة، وتكثر الطلبات منه إذا عاد إلى المنزل منهكًا مكدودًا قد بلغ به الإعياء مبلغه.

وقد تكثر من ترداده إلى السوق؛ ليأتي بما يحتاجه المنزل، فإذا رجع إلى المنزل ذكرت حاجة أخرى، فعاد إلى السوق مرة أخرى، وقد يرجع أكثر من ذلك، وقد يتكرر هذا منها مرات عديدة.

وقد يكون الزوج حاد المزاج، شديد التأثر لأقل الأشياء المخالفة لذوقه؛ فلا تراعي الزوجة فيه هذه الخصلة، فربما تضحك وهو في حالة غضب أو حزن، وقد يوجِّه لها الخطاب، فتعرض وتشيح بوجهها عنه، وقد يتكلم بكلمة غضب فتجيبه بعشر كلمات.

وقد تتعمد إغضابه، وإثارته، فما هي إلا أن تتحرك العاصفة، وينفجر البركان.

ومن قلة المراعاة لأحواله ومشاعره: قلة المراعاة لوقت نومه، وأكله، وقراءته، ونحو ذلك.

ومن ذلك: قلة العناية بمخاطبته ومحادثته، فلا تناديه بأحب الأسماء إليه، ولا تخفض صوتها إذا خاطبته، إلى ذلك مما ينافي أدب المخاطبة والمحادثة.

ومن ذلك أن تبدأ تنظيف البيت، أو مكافحة الحشرات بالمبيدات إذا دخل الزوج المنزل، أو همَّ

بالنوم، أو الأكل، فتزعجه بالجَلَبَة، وتزكم أنفه بالروائح التي لا تروقه.

فمثل هذه الأعمال تقصير في حق الزوج، ودليل على حمق المرأة، وخفة عقلها، وقلة ذوقها.

فالذي تقتضيه الحكمة أن تراعي الزوجة أحوال زوجها، ومشاعره، وأن تعمل ما في وسعها لإدخال السرور عليه، وإزالة الهمّ والغم عن قلبه، فتفرح لفرحه، وتحزن لحزنه، حتى يشعر بأنها تتعاون معه، حيث يَسُرُّها ما يسره، ويُحزنها ما يحزنه.

ولا ينبغي لها أن تظهر بمظهر السرور إذا كان محزونًا، كما ينبغي أن تكظم حزنها إذا رأته مسرورًا؛ فإن ذلك أدعى لدوام الألفة، وأدل على كرم نفس الزوجة.

ومما ينبغي لها أن تجمع ما يحتاجه المنزل، وتخصص وقتًا في الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك، فتكتب ما تحتاجه في ورقة؛ كي يأتي به مرة واحدة بدلاً من كثرة تردداه في حاجات يسيرة.

ولا يعني ذلك أن تكون هذه قاعدة مطردة؛ فقد تقتضي الحال إرساله أكثر من مرة في اليوم، ولكن تحاول قدر المستطاع أو تختصر ذلك.

ومما ينبغي لها في هذا الصدد أن ترعاه في طعامه، فتصنع له ما يشتهيه، وتنوِّع له الطعام كيلا يسأم، وتلاحظ الوقت الذي تقدم له الطعام، فلا تؤخره ولا تقدمه إلا بإذنه.

كما يحسن بها أن تراعي أوقات نومه، فتحرص على تهدئة الأطفال؛ ليأخذ راحته الكافية، فإذا أخذ قسطه من الراحة انشرح صدره، وهدأت أعصابه، وإلا بقي قلقًا مستوفزًا.

ومما يدخل السرور عليه أن تحرص الزوجة على نظافة المنزل، وأن تعتني بثياب الزوج؛ كي يظهر بالمظهر اللائق.

وإن كان طالب علم، أو صاحب قراءة وبحث فلتحرص على العناية بمكتبته، وكتبه ترتيبًا، وتنظيمًا، وتنظيفًا.

وإذا مرت به أزمة، أو مشكلة فلتقف معه بالدعاء، والرأي، والتثبيت، ونحو ذلك.

وإذا أرادت مخاطبته خاطبته بأسلوب لَبِق جذاب، يشعر من خلاله باحترامها وتوقيرها له.

قال ابن الجوزي رحمه الله: «وعن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: قالت ابنة سعيد بن المسيب: ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم».

وعلى الزوج أن يصبر على ما قد يجده من نقص أو تقصير في حقه، وليعلم أن في الصبر على ما قد يكرهه خيرًا كثيرًا.

ومما يروى في ذلك ما قاله الشيخ الصباغ رحمه الله: «وحدثني صديق آخر قال: إنني من الأيام الأولى لزواجنا لم أجد في قلبي مَيلاً لهذه المرأة ولا حبًا لها، ولكنني عاهدت الله على أن أصبر عليها، ولا أظلمها، ورضيت قسمة الله لي، ووجدت الخير الكثير من المال، والولد، والأمن، والتوفيق». (نظرات في الأسرة المسلمة ص١٩٦).

ثم قال الشيخ الصباغ معلقًا على تلك القصتين: «لكن ذلك كان من هذين الرجلين برضى داخلي، وإيثار لمصلحة رأياها، ولم يسلكا هذا المسلك لأنه فرض عليهما لازم؛ فحقق الله لهما الخير العظيم، ومن هذا الخير الثوابُ العظيم الذي أعده الله للصابرين.

قال: أما إذا أراد الإنسان العافية من هذا الصبر، والبحث عن المتعة والهناءة والسعادة والصفاء، ووجد امرأة صالحة تحقق له في توقعه ذلك كله، فليس هناك مانع شرعي أن يتزوج منها، ويعدل بين الزوجتين بما يستطيع من وسائل». (نظرات في الأسرة المسلمة ص١٩٦).

هذا، وقد تلقينا في التاريخ، ورأينا بأعيننا أزواجًا عرفوا حقوق الزوجية، واحتفظوا بآدابها التي أمر الإسلام بها، فعاشوا في ارتياح وهناءة، موصولين بتعاطف واحترام.

وربما ظهر هذا فيما يصدر من الزوجين من عبارات الأسف والتحسر عند الوداع.

نسأل الله أن يسعدنا في بيوتنا، وأن يبارك لنا في أزواجنا وأبنائنا.

وللحديث بقية إن شاء الله.

باب العقيدة

في بيان الشرك والانحراف في حياة البشرية ولمحة تاريخية عن الكفر والإلحاد والشرك والنفاق

الحلقة التاسعة

إعداد/ د. صالح الفوزان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

خلق الله الخلق لعبادته، وهيأ لهم ما يعينهم عليها من رزقه، قال تعالى: « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ » (الذاريات: ٥٦-٥٨).

والنفسُ بفطرتها إذا تركت؛ كانت مقرة لله بالإلهية، مُحبَّةً لله، تعبدُه لا تُشرك به شيئًا، ولكن يفسدها وينحرف بها عن ذلك ما يُزيِّنُ لها شياطين الإنس والجن بما يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، فالتوحيد مركوز في الفطرة، والشرك طارئ ودخيل عليها، قال الله تعالى: « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ » (الروم: ٣٠).

وقال صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يُولَدُ على الفطرة فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه) (في الصحيحين من حديث أبي هريرة). فالأصلُ في بني آدم: التوحيد.

وكان آدم عليه السلام ومن جاءَ بعدَهُ من ذُرَيته قُرونًا طويلة على التوحيد وصفاء العقيدة؛ قال تعالى: « كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ » (البقرة: ٢١٣).

وأوَّلُ ما حدثَ الشركُ والانحراف عن العقيدة الصحيحة في قوم نوح، فكانَ عليه السلام أول رسول إلى البشرية بعد حدوث الشرك فيها: « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ » (النساء: ١٦٣).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرةُ قرون؛ كلهم على الإسلام.

قال ابن القيِّم: (وهذا القولُ هو الصواب قطعًا؛ فإنَّ قراءة أُبيِّ بنِ كعب- يعني: في آية البقرة-: (فاختلفوا فبعثَ الله النبيين).

ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى في سورة يونس: « وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا » (يونس: ١٩).

يريد- رَحمهُ الله- أنَّ بعثةَ النبيين سببُها

الاختلاف عما كانوا عليه من الدين الصحيح، كما كانت العربُ بعد ذلك على دين إبراهيمَ عليه السلام؛ حتى جاء عمرو بن لحي الخزاعي فغيَّر دينَ إبراهيم، وجلبَ الأصنام إلى أرض العرب، وإلى أرض الحجاز بصفة خاصة، فعُبدت من دون الله، وانتشر الشركُ في هذه البلاد المقدسة، وما جاورها؛ إلى أن بعثَ اللهُ نبيه محمدًا خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم فدعا الناس إلى التوحيد، واتِّباع ملَّة إبراهيم، وجاهد في الله حق جهاده؛ حتى عادت عقيدة التوحيد وملة إبراهيم، وكسَّر الأصنام وأكمل الله به الدين، وأتم به النعمة على العالمين، وسارت على نهجه القرون المفضَّلَة من صدر هذه الأمة؛ إلى أن فشا الجهل في القرون المتأخرة، ودخلها الدخيلُ من الديانات الأخرى، فعاد الشرك إلى كثير من هذه الأمة؛ بسبب دعاة الضلالة، وبسبب البناء على القبور، متمثلاً بتعظيم الأولياء والصالحين، وادعاء المحبة لهم؛ حتى بنيت الأضرحة على قبورهم، واتخذت أوثانًا تُعبدُ من دون الله، بأنواع القُربات من دعاء واستغاثة، وذبح ونذر لمقامهم. وسَموا هذا الشرك: توسُّلاً بالصالحين، وإظهارًا لمحبتهم، وليس عبادة لهم، بزعمهم، ونسو أن هذا هو قول المشركين الأولين حين يقولون: « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ » (الزمر: ٣).

ومع هذا الشرك الذي وقع في البشرية قديمًا وحديثًا، فالأكثرية منهم يؤمنون بتوحيد الربوبية، وإنما يُشركون في العبادة، كما قال تعالى: « وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ » (يوسف: ١٠٦).

ولم يجحد وجودَ الرب إلا نزرٌ يسير من البشر، كفرعون والملاحدة الدهريين، والشيوعيين في هذا الزمان، وجحودهم باطنهم، وقرارة نفوسهم، كما قال تعالى: «وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا» (النمل: ١٤).

وعقولهم تعرف أن كل مخلوق لابد له من خالق، وكل موجود لابد له من موجد، وأن نظام هذا الكون المنضبط الدقيق لابد له من مدبر حكيم، قدير عليم، من أنكره فهو إما فاقد لعقله، أو مكابر قد ألغى عقله وسفه نفسه، وهذا لا عِبرةَ به.

الشرك: تعريفه، أنواعه

أ- تعريفه:

الشرك هو: جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته.

والغالب الإشراك في الألوهية؛ بأن يدعو مع الله غيره، أو يَصرفَ له شيئًا من أنواع العبادة، كالذبح والنذر، والخوف والرجاء والمحبة.

والشركُ أعظمُ الذنوب؛ وذلك لأمور:

١- لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فمن أشرك مع الله أحدًا فقد شبهه به، وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: «إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (لقمان: ١٣).

والظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه، فمن عبد غير الله؛ فقد وضع العبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقها، وذلك أعظم الظلم.

٢- أن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، قال تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ » (النساء: ٤٨).

٣- أنَ الله أخبر أنه حرَّم الجنة على المشرك، وأنه خالد مخلد في نار جهنم، قال تعالى: «إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ » (المائدة: ٧٢).

٤- أنَّ الشركَ يُحبطُ جميعَ الأعمال، قال تعالى: «وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » (الأنعام: ٨٨).

وقال تعالى: « وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ » (الزمر: ٦٥).

٥- أنَّ الشركَ أكبرُ الكبائر، قال صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) قلنا: بلى يا رسول الله، قال: (الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...) الحديث (رواه البخاري ومسلم).

قال العلامة ابن القيم: (أخبر سُبحانه أن القصد بالخلق والأمر: أن يُعرفَ بأسمائه وصفاته، ويُعبدَ وحده لا يُشرك به، وأن يقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، كما قال تعالى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ » (الحديد: ٢٥).

فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله، وأنزل كُتبه؛ ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل، ومن أعظم القسط: التوحيد، وهو رأس العدل وقِوامه؛ وإن الشرك ظلم

كما قال تعالى: «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (لقمان: ١٣). فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل؛ فما كان أشد منافاةً لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر).

إلى أن قال: (فلما كان الشرك منافيًا بالذات لهذا المقصود؛ كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرم الله الجنة على كل مشرك، وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد، وأن يتخذوهم عبيدًا لهم لما تركوا القيام بعبوديته، وأبى الله سبحانه أن يقبل لمشرك عملاً، أو يقبلَ فيه شفاعة، أو يَستجيب له في الآخرة دعوة، أو يقبل له فيها رجاء؛ فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله، حيث جعل له من خلقه ندًّا، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه، وإن كان المشرك في الواقع لما يظلم ربَّه، وإنَّما ظلَمَ نفسه) انتهى.

٦- أنَّ الشركَ تنقص وعيب نزه الرب سبحانه نفسه عنهما، فمن أشرك بالله فقد أثبت لله ما نزه نفسه عنه، وهذا غاية المحادَّة لله تعالى، وغاية المعاندة والمشاقَّة لله.

ب- أنواع الشرك

الشرك نوعان: النوع الأول: شرك أكبر يُخرج من الملة، ويخلَّدُ صاحبُه في النار، إذا مات ولم يتب منه، وهو صرفُ شيء من أنواع العبادة لغير الله، كدعاء غير الله، والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من القبور والجن والشياطين، والخوف من الموتى أو الجن أو الشياطين أن يضروه أو يُمرضوه، ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات، وتفريج الكُربات، مما يُمارسُ الآن حولَ الأضرحة المبنية على قبور الأولياء والصالحين، قال تعالى: «وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (يونس: ١٨).

والنوع الثاني: شرك أصغر لا يخرج من الملة؛ لكنه ينقص التوحيد، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو قسمان:

القسم الأول: شرك ظاهر على اللسان والجوارح وهو: ألفاظ وأفعال، فالألفاظ كالحلف بغير الله، قال صلى الله عليه وسلم: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) (رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم). وقول: ما شاء الله وشئت، قال صلى الله عليه وسلم: لما قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: (أجعلتني لله ندًّا؟! قُلْ: ما شاءَ الله وحده) (رواه النسائي). وقول: لولا الله وفلان، والصوابُ أن يُقالَ: ما شاءَ الله ثُمَّ شاء فلان؛ ولولا الله ثمَّ فلان، لأن (ثم) تفيدُ الترتيب مع التراخي، وتجعلُ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، كما قال تعالى: «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (التكوير: ٢٩).

وأما الواو: فهي لمطلق الجمع والاشتراك، لا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا؛ ومثله قول: ما لي إلا الله وأنت، و: هذا من بركات الله وبركاتك.

وأما الأفعال: فمثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمائم خوفًا من العين وغيرها؛ إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه، فهذا شرك أصغر؛ لأن الله لم يجعل هذه أسبابًا، أما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها؛ فهذا شرك أكبر لأنه تَعلّق بغير الله.

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي وهو الشرك في الإرادات والنيات، كالرياء والسمعة، كأن يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله؛ يريد به ثناء الناس عليه، كأنه يُحسن صلاته، أو يتصدق؛ لأجل أن يُمدح ويُثنى عليه، أو يتلفظ بالذكر ويحسن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس، فيُثنوا عليه ويمدحوه. والرياء إذا خالط العمل أبطله، قال الله تعالى: «فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (الكهف: ١١٠).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أخوفُ ما أخافُ عليكم الشرك الأصغر) قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: "الرياء" (رواه أحمد والطبراني والبغوي في شرح السنة).

ومنه: العملُ لأجل الطمع الدنيوي، كمن يحج أو يؤذن أو يؤم الناس لأجل المال، أو يتعلم العلم الشرعي، أو يجاهد لأجل المال. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (تَعسَ عبدُ الدينار، وتَعسَ عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعطَ سخط) (رواه البخاري).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

باب الاقتصاد الإسلامي

العمل في النظام الاقتصادي الإسلامي

إعداد/ **د. حسين حسين شحاتة**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلقد حث الله على العمل، ورفع منزلته وثوابه إلى درجة العبادة والفريضة، كما اهتم الإسلام بحقوق العامل وحوافزه وتنمية دوافع وبواعث التزامه بالقيم والأخلاق، كما استنبط الفقهاء الضوابط الشرعية للتعامل مع العامل لكي ينتج ويبدع ويبتكر.

ويختص هذا البند بتناول عنصر العمل والعمال في النظام الاقتصادي الإسلامي مع التركيز على مفهوم العمل وضوابطه الشرعية، وواجبات ومسئوليات العامل، وأسس حساب الأجور، وذلك في ضوء أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

مفهوم العمل في الاقتصاد الإسلامي:

من التكاليف التي فرضها الله على الإنسان عاملاً كان أو صاحب عمل (مستثمراً)، خفيراً أو وزيراً هي العمل لعمارة الأرض وعبادة الله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) (هود: ٦١)، ويقول الله تبارك وتعالى أيضاً: (هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ) (الملك: ١٥)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اليد العليا خير من اليد السفلى" (رواه البخاري).

ولقد رفع الله درجة العمل إلى مرتبة العبادة وقرنه بالإيمان في كثير من الآيات قال الله تبارك وتعالى: « قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا » (الكهف: ١١٠)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لأن يأخذ أحدكم حبله، ثم يأت الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه " (رواه البخاري عن الزبير بن العوام).

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب العبد المحترف". (رواه البيهقي والطبراني)، وعن الحض على العمل يقول صلى الله عليه وسلم: «ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده».

ولقد وضع الفقهاء شرطين ليتحول أي عمل إلى عبادة، أولهما: أن يكون العمل صالحاً يوافق شرع الله عز وجل، وثانيهما: أن يكون العمل خالصاً لوجه الله، فلا يقبل إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان، وأن القيم الإيمانية هي من أهم محركات العمل الصالح والخالص.

والعمل في الإسلام قيمة، فاليد العليا خير من اليد السفلى، واليد التي تعطى خير من اليد التي تأخذ، والعمل في الإسلام واجب حيوي وليس للتفاخر والتكبر والجاه والمظهرية فهو أساس الكسب والرزق الطيب لإعمار الأرض.

وعندما يفقه ويقتنع ويؤمن كل من العامل وصاحب العمل بأن العمل في الإسلام تكليف رباني وعبادة شرعية، وضرورة حيوية، وشرف وقيمة وعزة وجهاد في سبيل الله يكون ذلك حافزاً لهما على العمل الصادق الخالص والنافع للنفس وللوطن وللأمة الإسلامية، وبذلك تكون العلاقة بينهما طيبة مباركة تحقق المصالح للعامل ولصاحب المنشأة ولمن تقدم لهم الخدمات وكذلك للمجتمع، وهذا هو أساس التنمية الاقتصادية الفعالة في الإسلام.

حقوق العمال في الاقتصاد الإسلامي:

حتى ينطلق العامل بإيمانه وخلقه للعمل لا بد وأن توفر له المنشآت مقومات العمل وتضمن له حقوقه... ولقد تضمنت الشريعة الإسلامية الضوابط التي تحدد حقوق العامل، وهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

أولاً: أن تساعد المنشأة العامل في وضعه في مكان العمل المناسب حسب إمكانياته وقدراته وطاقته ولا تكلفه ما لا يطيق، ويقول صلى الله عليه وسلم كذلك: "إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة".

ثانياً: أن يكون أجر العامل في ظل الظروف العادية في ضوء ما يقدمه من جهد، فلا كسب بلا جهد، ولا جهد بلا كسب، ولا يجب أن يكون العامل عالة يكسب ولا يعمل، كما لا يجب أن تبخس المنشأة أجر العامل الصادق القوي الكفء حقه، فهذا يسبب الفساد، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: « وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ » (هود:٨٥)، وقوله تبارك وتعالى: « فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ » (الطلاق:٦).

ثالثاً: التعجيل في إعطاء أجر العامل حتى يستطيع أن يشتري حاجاته المعيشية، لأن التأخير في إعطاء الأجر للعامل يثبط الهمم ويقلل من الدوافع والحوافز على العمل، ومن الوصايا العظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: " أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه " (رواه ابن ماجه والترمذي).

رفع الله درجة العمل إلى مرتبة العبادة وقرنه بالإيمان في كثير من الآيات.

رابعاً: كفالة حق العامل في الحرية في إبداء رأيه، والمشاركة في اتخاذ القرارات التي تعينه في عمله، وهذا حق من حقوقه المعنوية التي كفلها له الإسلام في اتخاذ القرار، وهي الشورى في الإسلام، والشورى ضد التسلط والكبرياء والقمع والتجاهل، كما أن الشورى أساس الرأي الرشيد، يقول الله عز وجل: « وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ » (الشورى: ٣٨).

إن كفالة الحقوق المعنوية للعامل يحفزه ويدفعه إلى الإبداع والابتكار، ويكون راضياً على عمله ويكون عنده ولاء وانتماء إلى المنشأة التي يعمل فيها.

خامساً: أن تكفل المنشأة للعامل حق الكفاية عند العجز أو البطالة وفي ظل الأزمات، وفقاً لنظم التأمينات والمعاشات ونظم التكافل الاجتماعية، ولقد وضع الإسلام نظاماً فريداً لم تتوصل إليه حتى الآن النظم العالمية المعاصرة، هو نظام التكافل

الاجتماعي حيث يضمن لكل إنسان حق الحياة الكريمة، ويقوم هذا النظام على: الزكاة والصدقات والوقف الخيري والعارية.

سادساً: أن تكفل المنشأة للعامل الرعاية الإنسانية والاجتماعية والصحية، وكذلك تجنب مخاطر العمل، وهذه من الأمور الداخلة في نطاق النظم والقوانين لكل دولة وتتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية، ولقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فقال: " من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلا، أو ليست له زوجة فليتزوج، أو ليس له خادم فليتخذ خادماً، أوليست له دابة فليتخذ دابة، ومن أصاب شيئاً سوى ذلك فهو غلول " (رواه أبو داوود عن المستورد بن شداد).

هذه أهم حقوق العامل في الإسلام وعلى المنشأة أن توفرها له، ويتضامن معها المجتمع المسلم في إطار التعاون على البر والتقوى، وفي مقابل ذلك يجب أن يؤدي العامل ما عليه من تكاليف ومسئوليات لصاحب العمل على النحو الذي سوف نبينه في البنود التالية.

واجبات العمال في الاقتصاد الإسلامي:

لا حق بدون واجب، ولا كسب بلا جهد، فالإسلام يربط بين الحقوق والواجبات وبين المكاسب والتضحيات، فقد أمره بالانطلاق والسعي والضرب في الأرض ودليل ذلك قول الله عز وجل: «هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ » (الملك:١٥). ويقول الله عز وجل في سورة المزمل وهو بصدد التيسير في قراءة القرآن في الصلاة «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ » (المزمل: ٢٠)، كما يأمر الله الناس أن ينتشروا في الأرض بعد الصلاة، فيقول الحكيم العليم: « فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (الجمعة: ١٠).

لا حق بدون واجب، ولا كسب بلا جهد، فالإسلام يربط بين الحقوق والواجبات.

ولقد تناول فقهاء وعلماء المسلمين الضوابط الشرعية لمسئوليات العامل وواجباته في المنشأة التي يعمل فيها حتى يكون عاملاً منتجاً مخلصاً مساهماً في تعمير الوطن وليس عالة على الناس والوطن، منها ما يلي:

أولاً: يجب تحلي العامل بالقيم الإيمانية، ومنها الإيمان بأن العمل عبادة وطاعة لله عز وجل وأن الله عز وجل سوف يحاسبه يوم القيامة عن عمله، قال الله تبارك وتعالى: «وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (التوبة: ١٠٥).

ثانياً: التزام العامل بالأخلاق الفاضلة ومنها: الأمانة والصدق والإخلاص والإتقان والإبداع والابتكار والوفاء، ولقد أشار القرآن إلى ذلك على لسان ابنة سيدنا شعيب عليه السلام عندما زكت سيدنا موسى عليه السلام للعمل عند أبيها: «قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ» (القصص: ٢٦)، وفي سورة يوسف يوضح لنا القرآن خصال من يتولى الولاية على أمور الناس يقول الله على لسان سيدنا يوسف: «وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ » (يوسف: ٥٤).

ثالثاً: إتقان العمل وإحسان أدائه حسب الجوانب الفنية له، وعندما زكى سيدنا يوسف عليه السلام نفسه ليكون مسئولا على الخزائن قال: «إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ » (يوسف: ٥٥)، والله تبارك وتعالى يأمرنا جميعاً بأن نحسن العمل، فقال: « إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا » (الكهف: ٣٠)، وهذا الإتقان من الواجبات الدينية وهو عبادة، وفي هذا المقام يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة.... الحديث" (رواه البخاري).

رابعاً: أن يعرف العامل حدود عمله وكيف يؤديه، وأن يختار العمل المناسب وفقاً لقدراته وإمكانياته الفنية وغيرها، ولقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكليف العامل بعمل ليس من اختصاصه، وبين أن لا يكون اختيار العامل للعمل على أساس المجاملة والقرابة، ولكن على أساس الخبرة والكفاءة، واعتبار عدم الالتزام بذلك خيانة، فيقول عليه الصلاة والسلام " إذا وسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" (متفق عليه).

خامساً: أن يكون العامل قيِّماً على ذاته متابعاً لعمله، محاسباً ومعاتباً وزاجراً لنفسه عند التقصير والإهمال... وعندما يصل العامل إلى درجة أن يستشعر مراقبة الله له، سيكون حينئذ أشد مراقبة ومحاسبة لنفسه، وهذا بدوره يجعله يطور ويحسن من الأداء، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ) (القيامة:١٤).

سادساً: أن يكون العامل منضبطاً ملتزماً يسمع ويطيع، ويحترم النظم واللوائح التي يضعها صاحب المنشأة ما دامت لا تتعارض مع شرع الله عز وجل، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ودليل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " (رواه البخاري)، ولا يجب أن يكون كذاباً، أو منافقاً أو جشعاً أو خائناً للأمانة أو متواطئاً على الشر أو آكلاً لأموال الناس بالباطل أو مضلاً أو مرتشياً... أو غير ذلك من الصفات التي لا يجب أن تكون في العامل المسلم الورع الصالح التقي وتعطي فرصة لصاحب العمل أن يعاقبه سواء بالخصم أو الفصل.

سابعًا: أن يكون العامل متعاوناً مع فريق العمل الذي يعمل معه حتى يتم العمل بسهولة ويسر بدون معوقات، وهذا يدخل في نطاق التعاون على البر والتقوى وكذلك في نطاق الأخوة في الله، يقول الله تبارك وتعالى: « وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ » (المائدة: ٢)، وفي هذا المقام يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى هاهنا (ويشير إلى صدره ثلاث مرات)، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه" (رواه أبو داود عن أبي هريرة).

ثامنا: أن يكون العامل نافعاً لمجتمعه ووطنه، ولا يكون عالة، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "على كل مسلم صدقة قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قال قيل: أرأيت إن لم يستطع؟، قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قال قيل: أرأيت إن لم يستطع؟، قال: يأمر بالمعروف أو الخير"، قال: أرأيت إن لم يفعل؟، قال: "يمسك عن الشر. فإنها صدقة" (رواه البخاري ومسلم)، ويقول صلى الله عليه وسلم: "إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر" (رواه أحمد)، يفهم من هذا الحديث أن يظل العامل يعمل ما دام قادراً على العمل حتى يدخل القبر.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

> على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلاّ أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

القسم الثاني

الحلقة (٥٨)

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٥١٨- «المهدي رجل من ولدي، وجهه كالكوكب الدري، اللون لون العربي، والجسم جسم الإسرائيلي، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جورًا، يرضى خلافته أهل السماء وأهل الأرض والطير في الجو، يملك عشرين سنة».

الحديث لا يصح: أخرجه الديلمي كما في «الفردوس بمأثور الخطاب» (٢٢١/٤) (ح٦٦٦٧)، من حديث حذيفة مرفوعاً، وعلته: محمد بن إبراهيم بن كثير الصوري، قال الذهبي في «الميزان» (٤٤٩/٣/ت٧١١٤): روى عن رواد بن الجراح خبرًا باطلاً ومنكرًا، عن ذكر المهدي، وأخرجه الديلمي عن أبي نعيم عن سليمان بن أحمد عن محمد بن إبراهيم بن كثير، كما بينه الإمام الذهبي.

٥١٩- «المتعبد بلا فقه كالحمار في الطاحون».

الحديث لا يصح؛ أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢١٩/٥) من طريق بقية عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان، عن واثلة بن الأسقع مرفوعًا، وقال: غريب من حديث خالد وثور لم نكتبه إلا من حديث بقية.

وعلته بقية بن الوليد ذكره الذهبي في «الميزان» (٣٣١/١) (ت١٢٥٠)، ونقل أقوال الأئمة.

قال أبو حاتم: لا يُحتج به، وقال أبو مسهر: أحاديث بقية ليست نقية، فكن منها على تقية.

وأورده الحافظ ابن حجر في طبقات المدلسين المرتبة الرابعة (٤٩/١) وقال: وكان كثير التدليس، وقد بيَّن الحافظ ابن حجر منهجه في طبقات المدلسين، فقال الرابعة: من اتفق على أنه لا يُحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرَّحوا فيه بالسماع؛

لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل كبقية بن الوليد.

٥٢٠- «من لم يوتر فلا صلاة له».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/٢١٥ ح٤٠١٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، حدثنا علي بن سعيد قال: نا عبد الله بن أبي رومان الإسكندراني قال: ثنا عيسى بن واقد، حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، ثم قال: لم يرو هذا الحديث عن محمد إلا عيسى تفرد به عبد الله. اهـ.

قلت: وعبد الله هو عبد الله بن أبي رومان المعافري، علة هذا الخبر، كما بيَّن ذلك الذهبي في «الميزان» (٢/٤٢٢) (ت٤٣١٧) عن ابن وهب، ضعَّفه غير واحد، روى خبرًا كذبًا.

٥٢١- «من صلى ركعتين لا يراه إلا الله عزَّ وجلَّ والملائكة كان له براءة من النار».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣/١٩٧ ح٥٠٥٥) من حديث جابر بن عبد الله مرفوعًا، من طريق محمد بن مروان، عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، وعلته محمد بن مروان، وهو السدي الصغير.

قال الذهبي في «الميزان» (٤/٣٢/ت: ٨١٥٤): محمد بن مروان السدي الكوفي وهو السدي الصغير تركوه، واتهمه بعضهم بالكذب. اهـ.

٥٢٢- «من قرأ «قل هو الله أحد» ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة أو يُرى له».

الحديث لا يصح. أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥/١٩٠) (ح١٧٤٨) من طريق محمد بن مروان، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس مرفوعًا، وعلته: محمد بن مروان، وهو السدي الصغير، قد بينا حاله آنفًا بأنهم تركوه، واتهمه بعضهم بالكذب.

وعلة أخرى: أبان بن أبي عياش، نقل الذهبي في «الميزان» (١/١٠ ت١٥) أبان بن عياش، عن أحمد بن حنبل قال: هو متروك الحديث، وقال النسائي: متروك.

وقال يحيى بن معين: متروك. وقال الجوزجاني: ساقط. اهـ.

الاستعداد لرمضان بين التوكل والأخذ بالأسباب

الحلقة الثالثة

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

في شهر شعبان، وفي انتظار سيد الشهور في الدهور، ونفحة لله عظمى في أيام الدهر، وكان هدي السلف في ذلك أنهم يسألون ربهم بلوغه قبله بشهور، ثم يستعدون لذلك بكل نفيس من أعمارهم وأعمالهم وأموالهم عبادة لربهم، ونحن بصدد استكمالنا لشرح حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نجيب عن العلاقة بين الأخذ بالأسباب في الاستعداد للشهر وبين التوكل على الله في تحصيل التقوى فيه.

الحديث من رواية شيخ المحدثين الإمام البخاري وغيره من المحدثين رحمة الله على الجميع عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (عُرضت عليَّ الأمم، فأجد النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت، فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب. قلت: ولمَ؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون). فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم قال: (اللهم اجعله منهم). ثم قام إليه رجل آخر قال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: (سبقك بها عكاشة). واستكمالاً لبعض فوائد الحديث نقول وبالله تعالى التوفيق:

العلاقة بين التوكل والأخذ بالأسباب:

إن التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب، كما أن الأسباب لا يرتكن إليها بغير توكل عليه سبحانه، وفي بيانه للعلاقة بين التوكل والأخذ بالأسباب يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري(٤٠٩/١١):... قال جمهور علمائنا إن التوكل يحصل بأن يثق بوعد الله، ويوقن بأن قضاءه واقع، ولا يترك اتباع السنة في ابتغاء الرزق مما لا بد له منه من مطعم ومشرب وتحرز من عدو بإعداد السلاح، وإغلاق الباب، ونحو ذلك، ومع ذلك فلا يطمئن إلى الأسباب بقلبه بل يعتقد أنها لا تجلب بذاتها نفعًا ولا تدفع ضرًا، بل السبب والمسبب فعل الله تعالى، والكل بمشيئته فإذا وقع من المرء ركون إلى السبب قدح في توكله.. وقال أبو القاسم القشيري: التوكل محله القلب، وأما الحركة الظاهرة فلا تنافيه إذا تحقق العبد أن الكل من قبل الله، فإن تيسر شيء فبتيسيره وإن تعسر فبتقديره. (وينظر كذلك جامع العلوم والحكم٤٩/١).

موقف الناس من الأسباب:

هذا وإن كانت هذه هي علاقة التوكل بالأسباب؛ فإن مواقف الناس من الأسباب على أقسام؛ منها: فريق يلتفت إلى الأسباب بالكلية، ويعتمد قلبه عليها من غير نظر لمسبباتها. وهذا شرك يبطله الكتاب والسنة والاجماع، إذ إن الأسباب قد تتخلف عن مسبباتها بإذن الله كما يشهد لذلك الحس.

وفريق آخر يناقضه: إذ ينفي تأثير الأسباب بالكلية (فلا يعتقد في تأثيره أصلاً)؛ وقد وصف العلماء هذا القول بأنه (نقص في العقل،

وهذا فاسد مخالف للكتاب والسنة والإجماع.

وفريق ثالث: يعرض عن الأسباب مع علمه بتأثيرها، ومثالهم غلاة الصوفية لزعمهم التوكل، وهذا قدح في الشرع: فهم لا يرون تحقيق التوكل إلا في ترك الأسباب بالكلية، فتركوا التكسب والعمل، ولهم في ذلك شُبَه واهية أجاب عنها العلماء في مظانها (الاكتساب في الرزق المستطاب لمحمد بن الحسن الشيباني، والحث على التجارة والصناعة والعمل للخلال، ولغيرهم من علماء السلف كثير، والحمد لله).

وفريق الحق هو ما قام علي قولهم الدليل وهو اعتقاد أهل السنة الوسط وهو: قيام الجوارح بالأسباب، واعتماد القلب على الله سبحانه وتعالى، وهو الحق الذي دل عليه الشرع والعقل، فأثبت للأسباب تأثيرًا، لكن ليس بذاتها، بل بما أودعه الله فيها من القوى الموجبة، وهي تحت مشيئته وقدرته، فإن شاء منع اقتضاءها، وإن شاء جعلها مقتضية لأحكامها.

وفي بيانه لهذه العلاقة بين الأَسْبَاب وَالْمُسَبَّبَات في كتابه مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١١٩/٢) يقول شيخ الإسلام ابن القيم: "فَاعْلَمْ أَنَّ نُفَاةَ الأَسْبَاب لاَ يَسْتَقِيمُ لَهُمْ تَوَكُّلٌ أَلْبَتَّةَ؛ لأَنَّ التَّوَكُّل مِنْ أَقْوَى الأَسْبَاب في حُصُولِ الْمُتَوَكَّل فيه، وَقَضَى اللّه بِحُصُولِ الشيء إِذَا فَعَلَ الْعَبْدُ سَبَبَهُ. فَإِذَا لَمْ يَأْت بِالسَّبَب امْتَنَعَ الْمُسَبَّبُ. وَهَذَا كَمَا قَضَى بِحُصُولِ الْوَلَد إِذَا جَامَعَ الرَّجُلُ.. فَإِذَا لَمْ يُجَامِعْ لَمْ يُخْلَق الْوَلَدُ. وَقَضَى بِحُصُول الشِّبَع إِذَا أَكَلَ، وَالرِّيِّ إِذَا شَرِبَ. فَإِذَا لَمْ يَفْعَل لَمْ يَشْبَعْ وَلَمْ يُرْوَ.. فَالتَّوَكُّلُ مِنْ أَعْظَمَ الأَسْبَاب الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا الْمَطْلُوبُ، وَيَنْدَفِعُ بِهَا الْمَكْرُوهُ. فَمَنْ أَنْكَرَ الأَسْبَابَ لَمْ يَسْتَقِمْ مِنْهُ التَّوَكُّلُ. وَلَكِنَّ مِنْ تَمَام التَّوَكُّل عَدَمَ الرُّكُون إِلَى الأَسْبَاب، وَقَطْعَ عَلاَقَة الْقَلْب بِهَا؛ فَيَكُونُ حَالُ قَلْبِه قِيَامَهُ بِاللّه لاَ بِهَا. وَحَالُ بَدَنه قِيَامَهُ بِهَا). انتهى.

وآيات الكتاب في ربط التوكل بالأسباب وفيرة والحمد لله منها: قال تعالى: «وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ »(يوسف: ٦٧)،، وقال تعالى: «هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ »(الملك: ١٥) وقال تعالى:« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ » (النساء: ٧١)، «وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ » (الأنفال: ٦٠).

ومن السنة: حديث الناقة المشهور عن أنس- رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- على ناقة له، فقال: يا رسول الله، أدَعها وأتوكَّل؟ فقال: اعْقلها وتوكل. (رواه الترمذي وغيره).

لذا لا يختلط الاتكال أو التواكل الممنوع مع التوكل المشروع؛ إذ إن التواكل ترك للكسب، وانقطاع عن السعي ثم انتظار النتائج من الخلق أو القدر، وهذا السلوك خسَّة همَّة، وعدم مُروءة؛ لأنه إبطال حكمة الله التي أحكمها في الدنيا من ترتب المسببات على الأسباب، وهو محرم إذ يصطدم مع النقل والعقل".

طائفة عاصرتها ممن فهموا التوكل خطأ:

وهم طائفة من الغالين ممن ضلوا الطريق إذ مخالفة الهدي النبوي كله شر، وهي طائفة تسمى الفرماوية نسبة لرجل يسمى الفرماوي، وهؤلاء قد اعتمدوا هذا السلوك الغالي مذهبًا، بل طعنوا في إيمان من أخذ بالسبب، وقد عجبت من تناقض هؤلاء مع أنفسهم؛ إذ إنهم مع ذمهم للعامل المتكسب المتسنن ومدحهم للمتواكل القعيد المبتدع يأكل الأخير من كسب الأول، وهكذا يصطدم حالهم مع مقالهم؛ إذ إن مقالهم مخالف للفطرة التي فطر الله الناس عليها، ومخالف لهدي نبيهم صلى الله عليه وسلم لأصغر بصير بالسيرة؛ ألم يكن المهاجرون أهل تجارة والأنصار أهل زراعة في مجملهم؟ أليس هذا عمل؟ ألم يثبت بالقرآن أن الأنبياء أهل عمل يتكسبون منه؟ فلو انتظر الأولياء مائدة عيسى التي انتظرها أمثال هؤلاء لكان النبي ومن قبله الأنبياء

وخلفهم الأصحاب هم أحق الناس بذلك، ولهم بعد ذلك حكايات مضحكات لا مجال لها الآن.

صور من الهدي في التوكل واتخاذ الأسباب كثيرة منها:

• ترتيبات رسول الله- صلى الله عليه وسلم- للهجرة للمدينة من استئجار دليل مُشرك؛ ليدله على طريق الهجرة للمدينة، واختبائه بالغار وغيره. ومع هذا يكلل ذلك بدستور التوكل من سيد المتوكلين لأمته: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟"

• موقفه في غزوة بدر الكبرى. حتى إن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد أخذ بكلٍ ما في وُسْعه من أسباب؛ كترتيب للجيش، وتعبئة للجند، واستكشاف للعدو، يعلمنا من الأسباب (أن النصر مع الصبر)، لكنه من قبل ذلك ومن بعد يُحسِن اللجوءَ إلى ربه، والتوكل عليه، فيعلمنا مِن التوكل (وما النصر إلا من عند الله)، قال في الفتح ٨/٤٦: "قال تقي الدين السبكي: "سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم، مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه، فقلتُ: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتكون الملائكة مددًا على عادة مدد الجيوش؛ رعاية لصورة الأسباب وسُنَّتها التي أجراها الله في عباده، والله تعالى هو فاعل الجميع".

استقبال رمضان ومظانّ التوكل:

هذا وإن كان التوكل بهذه المنزلة من الإيمان والأسباب فكانت مظان التوكل في كل شيء ليس فقط في جلْب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية؛ كالرزق والزواج، والذرية والعافية، والانتصار على العدو، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية ليس هذا فحسب، بل أهم منه التوكل على الله في شئون الآخرة، فيتوكل العبد على ربه في استقامة نفسه وإصلاحها من دفع الآثام والفواحش وفعل الطاعات والقربات، وكذلك في إقامة دين الله في الأرض ونصره، وإزالة الضلال عن عبيده، وهدايتهم، والسعي في مصالحهم، ودفْع فساد المفسدين، ورفْعه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شعب الإيمان.

ثم ها نحن ذا في استقبال شهر رمضان، فهل يتوكل العبد على مولاه في تحصيل جميع ما سبق من شعب الإيمان، ثم هو يأخذ من الأسباب ما يقتضيه هذا التوكل، فتكتمل العلاقة بين السبب والمسبب التي يتم بها توكله على الله، ومن ذلك:

- الدعاء وخيره المأثور منه (اللهم بلغنا رمضان).
- ثم استحضار النية في الإكثار من الطاعات على الجملة؛ إذ (الأعمال بالنيات) فإن قضى العبد قضى وقد نال البشارة من الله كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في الحديث القدسي (إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة).

وأول نية تستحضر وعبادة تستقبل عبادة التوبة إلى الله فتكون صاحبة القسط الأوفر والمقام الأعلى، فندعو ربنا أن يوفقنا إليها ويعيننا عليها، ثم بعد ذلك نية الجد والاجتهاد في العبادة والسداد وفق الكتاب والسنة، ولا بأس أن يصحب ذلك تدريب عملي من صيام وقيام واجتهاد في تلاوة قرآن بتدبر وخشوع، ثم التدريب على الاجتهاد في صلة الأرحام والصدقة، ولين الكلام، والدعوة إلى الله.

ويعين على هذا القراءة والاطلاع على بعض الكتب الرمضانية أو المشاهدة والاستماع إلى مثل ذلك مما امتلأت به المساجد والمكتبات، ثم تعويد اللسان على العمل الجاد من ذكر واستغفار وتلاوة، ودعاء ودعوة وبيان، فتلك جارحة لا يمكن تركها إذ علق الله عز وجل بها أكبر عبادة فقال: (ولذكر الله أكبر).

والله تعالى نسأله أن يبلغنا رمضان، وأن يرزقنا فيه التوبة والإحسان، وأن يمنَّ علينا فيه بكرمه بالعتق من النيران، والحمد لله رب العالمين.

منبر الحرمين

الاستغفار في الكتاب والسنة

إعداد/ الشيخ علي عبد الرحمن الحذيفي

إمام المسجد النبوي

الحمد لله، الحمد لله الرحمن الرحيم، العليم الحكيم، ذي الفضل العظيم، أحمدُ ربي وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش الكريم، وأشهد أن نبيَّنا وسيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه ذو الخُلق العظيم، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه الدعاة المهتَدين إلى الصراط المستقيم.

أما بعد: فاتقوا الله بالعمل بمرضاته، وهجر مُحرَّماته؛ لتفوزوا برضوانه ونعيم جناته، وتنجُوا من غضب عقوباته.

أيها المسلمون: إن ربَّنا- جل وعلا- كثَّر أبوابَ الخير وطُرقَ الأعمال الصالحات، تفضُّلاً ورحمةً وجُودًا وكرمًا من رب العزَّة والجلال، ليدخُل المُسلم أيَّ باب من الخَيرات، ويسلُك أيَّ طريقٍ من طُرق الطاعات، ليُصلح الله دُنياه، ويرفعَه درجاتٍ في أُخراه، فيُكرمه المولى- سبحانه- بالحياة الطيبة، والسعادةَ في حياته، وينالَ النعيم المُقيم، ورضوان الربِّ بعد مماته.

قال الله تعالى: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: ١٤٨)، وقال- سبحانه- عن الأنبياء قُدوة الناس- صلى الله وسلم عليهم أجمعين-: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (الأنبياء: ٩٠).

وقال النبي- صلى الله عليه وسلم- لمُعاذ- رضي الله عنه-: «ألا أدلُّك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّة، والصدقةُ تُطفئُ الخطيئة كما يُطفئُ الماءُ النار، وصلاةُ الرجل في جَوف الليل»، ثم تلا: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة: ١٦، ١٧). ثم قال: «ألا أخبرُك برأس الأمر وعمُوده، وذروة سنامه؟»، قلتُ: بلى يا رسول الله، قال: «رأسُ الأمر الإسلام، وعمودُه الصلاة، وذروة سنامه الجهادُ في سبيل الله» (رواه الترمذي وصحَّحه).

فمن أبواب الخير، ومن طُرق الصالحات والطاعاتِ، ومن الأسباب لمحو السيئات: الاستغفار؛ فالاستغفارُ سُنَّةُ الأنبياء والمُرسلين- عليهم الصلاة والسلام-، قال الله تعالى عن أبوَي البشر- صلواتُ الله ورحمتُه وبركاته عليهما-: (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الأعراف: ٢٣).

وقال عن نُوح- عليه السلام-: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) (نوح: ٢٨)، وقال- عز وجل- عن الخليل- عليه السلام-: (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) (إبراهيم: ٤١)، وقال تعالى عن موسى- عليه الصلاة والسلام-: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (الأعراف: ١٥١)، وقال تعالى: (وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) (ص: ٢٤).

وقال تعالى آمرًا نبيَّه- صلى الله عليه وسلم-: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) (محمد: ١٩).

وكان هديُ نبيِّنا- صلى الله عليه وسلم-: كثرةَ الاستغفار، مع أن الله تعالى غفرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر؛ فعن ابن عُمر- رضي الله

عنهما- قال: كنا نعُدُّ لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- في المجلس الواحد مائةَ مرَّة: «ربِّ اغفر لي وتُب عليَّ، إنك أنتَ التوابُ الرحيم» (رواه أبـو داود، والترمـذي، وقـال: "حديث حسنٌ صحيح").

وعن عائشة-رضي الله عنها- قالت: كان رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم- يُكثر أن يقول قبل موته: «سبحان الله وبحمده، أستغفرُ الله وأتوبُ إليه» (رواه البخاري ومسلم).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: "لم أرَ أحدًا أكثرَ أن يقول: "أستغفرُ الله وأتوبُ إليه" من رسول الله- صلى الله عليه وسلم-" (رواه النسائي).

وكـان- صلى الله عليه وسـلم- يقـول بعد الصلاة: «أستغفرُ الله» ثلاثًا؛ رواه مسلم من حديث ثـوبَـان- رضي الله عنه-. ثم يقول الأذكار المشرُوعة بعد الصلاة والاستغفار.

والاستغفارُ دأبُ الصالحين، وعملُ الأبـرار المُتقين، وشعارُ المؤمنين، قال الله تعالى عنهم: (رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ) (آل عمران: ١٩٣)، وقـال تعالى: (ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ) (آل عمران: ١٦، ١٧)، قـال الحسن: "مدُّوا الصلاةَ إلـى السَّحر، ثم أقبَلوا على الاستغفار".

وقـال تـعـالـى: (وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران: ١٣٥)، قال ابن رجب- رحمه الله-: "وأما الاستغفارُ من الذنوب، فهو طلبُ المغفرة وسُؤالُها، والعبدُ أحوج شيءٍ إليه؛ لأنه يُخطئُ بالليل والنهار، وقد تكرَّر في القرآن ذكرُ التوبة والاستغفارُ، والأمـرُ بهما والحثُّ عليهما ".اهـ كلامُه.

وطلبُ المغفرة من الـربِّ- جل وعلا- وعدَ الله عليه الاستجابةَ والمغفرة.

ويُشرعُ أن يطلُب العبدُ المغفرة للذنب المُعيَّن؛ لقول النبي- صلى الله عليه وسلم-: «إن عبدًا أذنبَ ذنبًا، فقال: يا ربِّ! إني عملتُ ذنبًا فاغفر لي، فقال الله: علم عبدي أن له ربًّا يغفرُ الذنبَ، ويأخذُ به، قد غفرتُ لعبدي»؛ رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه-.

كما يُشرع أن يطلُب العبدُ المغفرةَ مُطلقًا، فيقول: ربِّ اغفر لي وارحَمني، قال الله تعالى: (وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ) (المؤمنون: ١١٨).

وكان النبي-صلى الله عليه وسلم- يُعلِّم الرجلَ إذا أسلمَ أن يدعُو بهذه الكلمات: «اللهم اغفر لي، وارحَمني، واهـدني، وعافني، وارزُقني» (رواه مسلم من حديث طارق بن أشيم- رضي الله عنه-).

كما يُشرعُ للعبد أن يطلُب من ربِّه- سبحانه- مغفرةَ ذنوبه كلِّها، ما علم منها وما لم يعلَم، فإن كثيرًا من الذنوب لا يعلمُها إلا الله، والعبدُ مُؤاخَذٌ بها.

عن أبـي موسى الأشعري- رضي الله عنه- ، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنـه كان يدعُو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنتَ أعلمُ به منِّي، اللهم اغفر لي جدِّي وهزلي، وخطأي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدَّمت وما أخَّرت، وما أسرَرت وما أعلَنتُ، وما أنت أعلمُ به منِّي، أنت المُقدِّم وأنت المُؤخِّر، وأنت على كل شيءٍ قدير» (رواه البخاري ومسلم).

ولقول النبي- صلى الله عليه وسلم-: «الشركُ في هذه الأمة أخفَى من دَبيب النمل». فقال أبو بكر- رضي الله عنه-: فكيف الخلاصُ منه يا رسولَ الله؟ قال: «أن تقول: اللهم إني أعوذُ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرُك من الذنب الذي لا أعلَم» (رواه ابن حبان من حديث أبي بكر- رضي الله عنه-، وأحمدُ من حديث أبي موسى).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه-، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه كان يدعو: «اللهم اغفر لي ذنبي كلَّه، دقَّه وجلَّه، خطأه وعمدَه، سرَّه وعلانيتَه، أوَّلَه وآخرَه» (رواه مسلم وأبو داود). فإذا سألَ العبدُ ربَّه مغفرةَ ذنوبه ما علم منها وما لم يعلم، فقد وُفِّق توفيقًا عظيمًا.

ودُعاءُ العبد ربَّه بمغفرة الذنوب دُعاءَ إخلاص وإلحاح، وسُؤال تضرُّع وتذلُّل، يتضمَّن التوبةَ من الذنوب، وسُؤالُ التوبة والتوفيقُ لها يتضمَّنُ الاستغفار، فكلٌّ من الاستغفار والتوبة إذا ذُكر كلٌّ منهما بمُفرده تضمَّن الآخر، وإذا اجتمعَا في النصوص كان معنى الاستغفار طلبَ محو الذنب وإزالة أثره، ووقاية شرِّ ما مضى من الذنب وسَتره. والتوبة الرجوعُ إلى الله بترك الذنوب، ووقاية ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، والعزمُ على ألا يفعلَه.

وقد جمعَ بين الاستغفار والتوبة: قولُه تعالى: (وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) (هود: ٣)، وغيرُ ذلك من الآيات.

وقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: «يا أيها الناس! تُوبوا إلى ربِّكم واستغفروه؛ فإني أتوبُ إليه وأستغفرُه كلَّ يوم مائةَ مرَّة» (رواه النسائي من حديث الأغرِّ المزنيِّ- رضي الله عنه-).

والعبدُ مُحتاجٌ إلى الاستغفار دائمًا أشدَّ الحاجة، ولا سيَّما في هذا الزمان؛ لكثرة الذنوب والفتن، ليُوفِّقه الله في حياته وبعد مماته، ويُصلح شأنَه.

فالاستغفارُ بابُ خيرات، ودافعُ شُرور وعقوبات، والأمةُ بحاجة شديدة إلى دوام الاستغفار، ليرفعَ اللهُ عن الأمة العقوبات النازلة، ويدفعَ العقوبات المُستقبَلة، ولا يزهدُ في الاستغفار إلا من جهلَ منافعَه وبركاتِه.

وقد استفاضَ بفضائله القرآنُ والسنَّة؛ قال الله تعالى عن صالح- عليه السلام-: (قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (النمل: ٤٦). فبالاستغفار تُرحمُ الأمةُ.

وقال تعالى عن نُوح- عليه الصلاة والسلام-: (فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) (نوح: ١٠- ١٢).

وقال تعالى عن هُود- عليه السلام-: (وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ) (هود: ٥٢). وقال تعالى: (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (الأنفال: ٣٣).

قال أبو موسى- رضي الله عنه-: "كان فيكم أمانان؛ فأما النبي- صلى الله عليه وسلم- فقد مضى، والاستغفارُ باقٍ فيكم إلى يوم القيامة".

فكثرةُ استغفار الأمةِ رافعُ ما نزل ووقع، ودافعُ ما سينزلُ؛ لأنه ما نزلَ بلاءٌ إلا بذنب، وما رُفِع إلا بتوبة واستغفار.

وعن ابنِ عباس- رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم-: «من لزم الاستغفارَ جعلَ الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل همٍّ فرَجًا، ورزقَه من حيث لا يحتسب» (رواه أبو داود).

وقد وردَ عن النبي- صلى الله عليه وسلم- كلمات محفوظة مُباركة في الاستغفار، ففي قولها الثوابُ العظيم، من ذلك:

قولُه- صلى الله عليه وسلم-: «من قال: أستغفرُ اللهَ الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوبُ إليه، غُفرت ذنوبُه وإن كان قد فرَّ من الزحف» (رواه أبو داود والترمذي والحاكم، وقال: "حديثٌ صحيحٌ على شرط البخاري ومسلم").

وعن أبي سعيد الخُدري- رضي الله عنه-، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفرُ اللهَ الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوبُ إليه ثلاث مرات،

غفرَ اللّه له ذنوبَه وإن كانت مثلَ زبَد البحر» (رواه الترمذي).

وفي الحديث أيضًا: «من قال قبل فجر يوم الجُمعة: أستغفرُ اللّه الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتـوبُ إليه ثلاثًا، غُفِرَت ذنوبُه وإن كانت مثلَ زبَد البحر».

وعن شدَّاد بن أوس- رضي اللّه عنه-، أن النبي- صلى اللّه عليه وسلم- قال: «سيِّد الاستغفار أن يقول العبدُ: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتَني وأنا عبدُك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت. من قالَها في النهار مُوقنًا بها فماتَ من يومِه قبل أن يُمسي دخلَ الجنة، ومن قالَها من الليل وهو مُوقَنٌ بها فمات قبل أن يُصبِح، فهو من أهل الجنة» (رواه البخاري).

وعن أنس- رضي اللّه عنه- قال: سمعتُ رسولَ اللّهَ- صلى اللّه عليه وسلم- يقول: «قال اللّه تعالى: يا ابنَ آدم! لو بلغَت ذنوبُك عنانَ السماء، ثم استغفرتَني غفرتُ لك ولا أبالي» (رواه الترمذي، وقال: "حديثٌ حسن").

كما يُشرع الاستغفارُ عند القيام بالطاعة وبعدَها، لجِبران ما كان فيها من نقص، والابتعاد عن العُجب والرياء، قال اللّه تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٩٩)، وقال- سبحانه-: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ (المزمل: ٢٠). فأمرَ بالاستغفار مع هذه الطاعات وبعدَها.

كما يُشرعُ أن يستغفرَ المُسلم للمُؤمنين والمؤمنات، والمُسلمين والمُسلمات، الأحياء منهم والأموات، إحسانًا وحبًّا وسلامةَ صدر، ونفعًا للمُسلمين، وشفاعةً لهم عند اللّه، قال اللّه تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر: ١٠).

وعن عُبادة بن الصامت- رضي اللّه عنه-، عن النبي- صلى اللّه عليه وسلم- أنه قال: «من استغفرَ للمُؤمنين والمُؤمنات، كتبَ اللّه له بكل مُؤمن ومُؤمنةٍ حسنة»؛ قال الهيثميُّ: "إسنادُه جيِّد".

وهذا كالاستغفار لهم في الجنائز، والاستغفار لهم في المقبرة إذا زارَهم، واقتداءً بحمَلَة العرش والمُقرَّبين، قال اللّه تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (غافر: ٧)، وهذا من أعظم النُّصح والمحبَّة للمُؤمنين.

عباد اللّه: استَجيبُوا لأمر ربِّكم، قال اللّه تعالى في الحديث القُدسي: «يا عبادي! إنكم تُخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعًا، فاستغفرُوني أغفر لكم» (رواه مسلم من حديث أبي ذرٍّ).

فأقبلوا على ربِّكم بالاستغفار، ترَوا كرمَه وجُودَه وفضلَه وبركاته، وتجِدوا محوَ السيئات، ورفعَ الدرجات.

عباد اللّه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦)، وقد قال- صلى اللّه عليه وسلم-: «من صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صلَّى اللّه عليه بها عشرًا»، فصلُّوا وسلِّموا على سيِّد الأولين والآخرين، وإمام المرسلين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيد، اللهم وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيد، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

الحلقة
الخامسة

اللقطة واللقيط

آداب وأحكام

إعداد/ محمد عبد العزيز

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المرسلين، ورحمة الله للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فهذا هو المقال الخامس المعنون بـ: اللقطة واللقيط آداب وأحكام، وهو المقال الأخير من الشطر الثاني من العنوان: اللقيط آداب وأحكام، وقد وقفنا في المقال السابق عند الشروط الواجب توافرها في الملتقط، فأقول وبالله التوفيق:

الشروط الواجب توافرها في الملتقط:

هذا والملتقط للطفل المنبوذ يجب أن تتوفر فيه شروط؛ ليتحقق بالتقاطه الكفاية للقيط، ويسقط بفعله الإثم عن المسلمين، والشروط التي ذكرها الجمهور خمسة، وثمة شروط غيرها مختلف فيها، وقد مضى في المقال السابق منها شرطان:

الشرط الأول: الإسلام إن كان اللقيط في دار الإسلام، أو بدت عليه سيماهم كأن يكون مختونًا أو أمام مسجد، ونحوه، فإن التقطه غير المسلم حول إلى مسلم يرعاه، فلا يجوز إقراره بيده لقوله تعالى: «وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا» (سورة النساء: الآيات ١٤١).

فإن كان اللقيط غير مسلم، ويعرف هذا بسيماهم كأن يكون قد دق على يده الصليب، أو هو في قرية لأهل الذمة ليس فيها مسلم؛ تغليبًا لحكم الدار لقوله تعالى: «وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ» (الأنفال: ٧٣).

وهو مذهب الجمهور من المالكية، والشافعية، والحنابلة. (الشرح الكبير للدردير (١٢٧/٤)، وبداية المجتهد (٢٣٢/٢)، والحاوي الكبير (٤٢/٨)، والبيان للعمراني (١٨/٨)، والمغني (٤١/٦)، والإنصاف (٤٣٩/٦)).

الغرض من التقاط اللقيط حفظ حريته ونسبه، ودينه، وماله.

الشرط الثاني: التكليف- البلوغ، والعقل- فإن التقطه غير المكلف كالصبي، والمجنون، انتزع من يده؛ لأن غير المكلف لا يقوم بأمر نفسه من الحفظ، والرعاية، والنفقة، والتربية...، فكيف يقوم بأمر غيره.

والشرط الثالث: العدالة الظاهرة، فإن وجد في يد فاسق لا تقر يده عليه، وهو مذهب الجمهور. (بداية المجتهد (٢٣٢/٢)، وروضة الطالبين (٤١٩/٥)، وكشاف القناع (٢٢٩/٤)). لما رواه مالك في الموطأ (٧٣٨/٢) عن ابن شهاب، عن سُنَيْنٍ أبي جميلة- رجل من بني سليم- أنه وجد منبوذًا في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال: «فجئت به إلى عمر بن

الخطاب رضي الله عنه، فقال: ما حملك على أخذ هذه النسمة؟ فقال: وجدتها ضائعة فأخذتها. فقال له عريفه: يا أمير المؤمنين، إنه رجل صالح. فقال له عمر: أكذلك؟ قال: نعم.

فقال عمر: اذهب فهو حر، ولك ولاؤه، وعلينا نفقته». (وقد علقه البخاري في كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلاً كفاه، وسُنَيْن أبو جميلة: صحابي مشهور معروف، لم يصب من قال: إنه مجهول. وانظر: التلخيص الحبير، لابن حجر (٤/٢٠١٢ حديث: ٤٣٤٢) وإرواء الغليل، للألباني (حديث: ١٥٧٣)).

الشرط الرابع: الرشد، والصلاح في الديانة، والتصرف المالي، والمقصود به في هذا الباب أن يكون أهلاً للأمانة والتربية، فإذا توفر في الملتقط هذان الوصفان صار رشيدًا، وهو مذهب الجمهور. (بداية المجتهد (٢/٢٣٢)، ومغني المحتاج (٢/٤١٨)، وشرح منتهى الإرادات (٢/٣٨٩)).

لقوله تعالى: «وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ» (سورة النساء: ٦)

والالتقاط للقيط مقيس عليه بل هو أولى.

الشرط الخامس: الحرية، فإن التقطه عبد توفرت فيه الشروط السابقة، وأقره سيده، صح التقطه. (كفاية الأخيار (١/٤٣١)، والمدونة الكبرى (٤/٢٦٣)، والإقناع (٢/٤٠٥)).

حكم تعريف اللقيط:

سبق أنه يجب الإشهاد على التقاط اللقيط، لأن الغرض من التقاط اللقيط حفظ حريته ونسبه، ودينه، وماله، فوجب الإشهاد، كما في النكاح، فهل يغني هذا الإشهاد عن التعريف، والجمهور على أنه لا يغني الإشهاد عن التعريف، وذهب بعض الحنفية إلى أنه يغني عن التعريف.

قذف اللقيط بغير البينة التي يقام بها حد الزنا، كبيرة من كبائر الإثم باتفاق.

فيجب تعريف اللقيط بما يؤدي إلى اهتداء أهله له، وقد يستخدم في ذلك وسائل الاتصال الحديثة كالتلفاز، والصحف، والإنترنت، وغيرها.

ويكون في حضانة لاقطه إلى أن يُهْتَدى لأهله، فإن لم يكن أودع في دار رعاية الأيتام.

نسب اللقيط:

نسب اللقيط لوالديه فإن كان يعرب عن نفسه، وادَّعى نسبًا، فهو له، وإن لم يكن، وهذا هو الأغلب على حاله، تنسب بدعوى النسب، كأن يدعيه رجل أو امرأة، وتقبل دعوى النسب ولو بغير بينة عند الجمهور، شريطة ألا يكون مدعيها من أهل الريب، وأن يمكن لمثله أن يكون والدًا لهذا اللقيط، وسواء في ذلك المسلم، وغير المسلم.

قال النووي في روضة الطالبين (٥/٤٣٧): «نسب اللقيط: وهو كسائر المجهولين:

- فإذا استلحقه حر، مسلم، لحقه، وقد سبق في كتاب «الإقرار» ما يشترط الاستلحاق.- ولا فرق في ذلك بين الملتقط وغيره، لكن يستحب أن يقال للملتقط: من أين هو لك؟ فربما توهم أن الالتقاط يفيد النسب.

- وإذا ألحق بغير الملتقط، سلم إليه، لأنه أحق من الأجنبي».

وهذا القدر قد أدعي فيه الإجماع، قال ابن قدامة في المغني (٦/٤٣): «أن يدعيه واحد ينفرد بدعواه، فينظر، فإن كان المدعي رجلاً مسلمًا حرًا، لحق نسبه به، بغير خلاف بين أهل العلم، إذا أمكن أن يكون منه».

أمَّا إن كانت دعوى النسب من غير المسلم،

وكانت بغير بينة، وأمكن أن يكون مثله والدًا للقيط، فقد قال النووي في روضة الطالبين (٤٣٧/٥): «واستلحاق الكافر، كاستلحاق المسلم في ثبوت النسب؛ لاستوائهما في الجهات المثبتة للنسب».

وذهب المالكية إلى أن استلحاق غير المسلم لا بد فيه من البينة؛ لأن دعوى النسب كغيرها من الدعاوى لا تثبت إلا ببينة، ومع البينة يلحقه النسب بإجماع. ويقوم مقام البينة إذا صدقت دعواه القرائن، قياسًا على اللقطة. (الشرح الكبير (١٢٦/٤)، والشرح الصغير مع حاشية الصاوي (١٨١/٤)، والذخيرة، للقرافي (١٣٥/٩).).

فإن ادعاه أكثر من واحد، فالذي أراه أنه لا يلحق بأحدهم إلا بعد إجراء عملية فحص الحمض النووي (DNA) إن تيسرت.

النفقة على اللقيط:

النفقة على اللقيط لها جهات مرتبة عند الفقهاء: فتكون في ماله، أو مال وهب له، أو مال الوقف الموقوف على الفقراء إن كان، أو من خزينة الدولة إن رتبت له نفقة، أو من مال الزكاة، فإن لم يكن فمن مال الملتقط، فإن طابت نفسه بعدم الرجوع على أهله إن وجدوا بنفقته فحسن، وليس له الرجوع عليهم بعد ذلك، وإلا كان له الرجوع في أرجح الأقوال.

وهو كالمنفق على اليتيم في الأجر، لحديث سهل بن سعد الساعدي- رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا وكافِلُ اليَتيم كهاتَيْنِ في الجنَّة. وقَرَنَ بينَ إصبَعَيه: الوسطَى، والتي تلي الإبهامَ». (رواه البخاري (٥٣٠٤) و(٦٠٠٥)، وأبو داود (٥١٥١)، والترمذي (٢٠٣٠))، وهذا من قياس الأولى. (تحفة الفقهاء (٣٥٢/٣)،، الذخيرة للقرافي (١٣٢/٩)، الحاوي الكبير (٣٧/٨)).

حكم قذف اللقيط:

قذف اللقيط بغير البينة التي يقام بها حد الزنا، كبيرة من كبائر الإثم باتفاق سواء قذفه في نفسه، أو قذفه في أحد والديه.

لكن اختلف أهل العلم في إقامة الحد على قاذفه، وهذا له حالان:

الأول: أن يقذفه في نفسه بعد بلوغه محصنًا فعليه الحد عند الجمهور؛ لأن قذف المحصن موجب للحد.

الآخر: أن يقذفه فيقول له:

- يا ابن الزنا؛ فالجمهور على أنه يحد؛ فليس كل لقيط ابن زنا، وهذا نفي لنسبه.

وللمالكية قول آخر أنه لا يحد؛ لأن الغالب على اللقطاء أن يكونوا كذلك.

- أن يقذفه في أحد والديه، كأن يقول له: يا ابن الزانية أو الزاني، فلا يحد، قيل: اتفاقًا؛ لأنه ليس صريحًا في نفي النسب، هذا مع اتفاقهم على أنه كبيرة من كبائر الإثم، لقوله تعالى: « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (سورة النور: ٤).

وقوله: «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّه دِينَهُمُ الْحَقَّ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّه هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ».

هذا ما يسره الله- تعالى- في هذه العجالة؛ فإن يكن صوابًا فالحمد لله وحده، وإن تكن الأخرى فأستغفر الله منه.

«أنا وكافلُ اليَتيم كهاتَيْن في الجنَّة. وقَرَنَ بينَ إصبَعَيه.

أحكام الصلاة

العمل الكثير في الصلاة

الحلقة الثانية

باب الفقه

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلاً عن منهيات الصلاة، ففي الحلقة السابقة بدأنا الحديث عن الأعمال المختلفة التي ورد الإذن بالقيام بها في الصلاة على أن تكون خفيفة، دون أن يعتبرها الشرع قادحة في الخشوع ولا منافية له، فذكرنا جملة من هذه الأعمال، وهي المشي لحاجة تَعرِض للمصلي، والإشارة باليدين والرأس لردِّ السلام، وتحريك اليد والإشارة بهما للحاجة في الصلاة. ونكمل فنقول وبالله تعالى التوفيق:

٤- حمل الطفل في الصلاة:

من الأفعال التي يجوز للمصلي فعلها وقد يتحرج كثير من الناس من فعلها مع وجود حاجة البعض منهم لها؛ أن يحمل طفلاً أو طفلة على ظهره أو كتفيه، أو يحمله بين يديه وهو في الصلاة، والأصل في جواز ذلك ما ثبت من حديث أبي قتادة رضي الله عنه «أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان يصلي وهو حاملُ أمامةَ بنتَ زينب بنت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولأبي العاص بن ربيعة، فإذا قام حملها، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها» (رواه البخاري). وقد تأول بعض أهل العلم هذا الحديث علي وجوه منها ما قاله القاضي عياض: حمل ذلك أصحابنا على أنه في النافلة، وظاهره أنه كان في الفريضة فإن إمامته بالناس في النافلة ليست معلومة. (إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ٢/٢٦٤).

وقال النووي: " وهذا التأويل فاسد. لأنه جاء في رواية (وهو يؤم الناس)، وهذا صريح أو كالصريح في أنه كان في الفريضة ". (شرح النووي على صحيح مسلم ٥/٣٢).

وتأولوا الحديث أيضاً بأن هذا الفعل كان للضرورة وهو مروي أيضا عن مالك، وفرَّق بعض أتباعه بين أن تكون الحاجة شديدة بحيث لا يجد من يكفيه أمر الصبي، ويخشى عليه، فهذا يجوز في النافلة والفريضة، وإن كان حمل الصبي في الصلاة على معنى الكفاية لأمه لشغلها بغير ذلك؛ لم يصلح إلا في النافلة، وهذا أيضًا عليه من الإشكال: أن الأصل استواء الفرض والنفل في الشرائط والأركان إلا ما خصه الدليل. (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ١/٢٥٣).

وتأولوا الحديث أيضاً أن هذا منسوخ قال أبو عمر بن عبد البر: "ولعل هذا نُسخ بتحريم العمل والاشتغال في الصلاة بغيرها". (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ٥/٨٥).

وقد رُدَّ هذا بأن قوله صلى الله عليه وسلم: "إن في الصلاة لشغلاً" كان قبل بدر عند قدوم عبد الله بن مسعود من الحبشة، فإن قدوم زينب وابنتها إلى المدينة كان بعد ذلك ولو لم يكن الأمر كذلك لكان فيه إثبات النسخ بمجرد الاحتمال. (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ١/٢٥٣).

وهناك تأويلات أخرى ذكرها ابن دقيق العيد ورد عليها تركنا ذكرها خشية الإطالة، قال النووي معبرًا عن فساد تلك التأويلات: "كل هذه الدعاوى باطلة ومردودة، فإنه لا دليل عليها ولا ضرورة إليها، بل الحديث صحيح صريح في جواز ذلك، وليس فيه ما يخالف

قواعد الشرع" (شرح النووي على صحيح مسلم ٥/٣٢).

وقال الصنعاني: "والْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ حَمْلَ الْمُصَلِّي فِي الصَّلَاةِ حَيَوَانًا أَوْ آدَمِيًّا أَوْ غَيْرَهُ لَا يَضُرُّ صَلَاتَهُ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ لِضَرُورَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، وَسَوَاءٌ كَانَ صَلَاةَ فَرِيضَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، وَسَوَاءٌ كَانَ إمَامًا أَوْ مُنْفَرِدًا، وَقَدْ صَرَّحَ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: " أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إمَامًا "، فَإِذَا جَازَ فِي حَالِ الْإِمَامَةِ جَازَ فِي حَالِ الِانْفِرَادِ، وَإِذَا جَازَ فِي الْفَرِيضَةِ جَازَ فِي النَّافِلَةِ بِالْأَوْلَى". (سبل السلام ١/٤٩١).

ويؤيد هذا المعنى حديث شدَّاد الليثي رضي الله عنه قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشي الظهر أو العصر وهو حامل حسن أو حسين، فتقدم النبي- صلى الله عليه وسلم- فوضعه، ثم كبَّر للصلاة فصلى، فسجد بين ظهري صلاته سجدةً أطالها، قال: إني رفعت رأسي، فإذا الصبي على ظهر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهو ساجد، فرجعت في سجودي، فلما قضى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- الصلاة قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهري الصلاة سجدةً أطلتَها، حتى ظننَّا أنه قد حدث أمرٌ، أو أنه يُوحَى إليك، قال: كلُّ ذلك لم يكن، ولكنَّ ابني ارتحلني فكرهت أن أُعجله حتى يقضي حاجته» (رواه أحمد والنَّسائي وصححه الألباني).

وعلى هذا فالقول بكراهة فعل ذلك في الصلاة ليس عليه دليل من كتاب أو سنة أو قياس صحيح.

٥- إصلاح الثوب في الصلاة:

ومما يجوز فعله في الصلاة: إصلاحُ الثوب بحركات قليلة، إذا دعت الحاجة لذلك، والأصل في ذلك حديث وائل بن حُجْر رضي الله عنه قال «قال: صليتُ مع رسولَ الله- عليه السلام- فكانَ إذا كبرَ رَفعَ يَديه. قال: ثم التَحَفَ، ثم أخذَ شمَالَه بيمينه، وأدخلَ يديه في ثوبه. قال: فإذا أرادَ أن يركعَ أخرجَ يديه ثم رفعَهُمَا، وإذا أرادَ أن يرفعَ رأسه من الركوع رَفعَ يديه». (رواه أبو داود).

ورواه مسلم ولفظه «... فلما أراد أن يركع أخرج يديه من الثوب...».

ووجه الدلالة من الحديث التحاف النبي صلى الله عليه وسلم وهو جمع الثوب بعضه إلى بعض، وكل ذلك كان في الصلاة.

قال ابن عثيمين رحمه الله: "وفيه دليل على أنه لا بأس للمصلي إذا كان عليه مشلح مثلاً، وأراد أن يكفَّ بعضه على بعض، ولا يدخل هذا في قوله: «لا أكفُّ شعراً ولا ثوباً» لأن كلَّ شيء بحسبه ومن هنا يتبيَّن أن كَفَّ الغُترة في حال الصَّلاة إلى الخلف لا بأس به؛ لأنه من اللبس المعتاد، فما كففتها كفًّا أخرجها عن ما يعتاده الناس فيها، وكذلك لو لفَّها على رقبته فإنه لا بأس به أيضاً؛ ولو كَفَّ أحد طرفي غترته حول رقبته، وسدلَ الأخرى، فإنه لا بأس به أيضاً؛ لأن كلَّ هذه من الألبسة المعتادة.. فلا تُعَدُّ كفاً خارجاً عن العادة، ولهذا التحفَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بردائه، والالتحاف كفُّ بعضه على بعض. (الشرح الممتع ٣/٢٥٣).

وجوز للمصلي لفَّ العمامة لو انحلت ولا حرج عليه إن كان انحلالها يشغله فلفها حينئذ مشروع؛ لأن في ذلك إزالة لما يشغله، وإن كان لا يشغله فالأمر مباح وليس بمشروع.

٦- تسوية موضع السجود:

يجوز تسوية موضع السجود وتهيئته للسجود، على أن يكون ذلك مرة واحدة، ولا يكثر من ذلك؛ لما روى معيقيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في الرجل يسوِّي التراب حيث يسجد: "إن كنت فاعلاً فواحدة" (رواه الجماعة).

وفي رواية أخرى أن النبي- صلى الله عليه وسلم – قال: «لا تمسح وأنت تصلي، فإن كنت لا بدَّ فاعلاً فواحدة، تسويةَ الحصا» (رواه أبو داود).

وفي رواية أخرى لمسلم «ذكر النبي- صلى الله عليه وسلم- المسح في المسجد، يعني الحصى، قال: إن كنت لا بدَّ فاعلاً فواحدة». فالمسح مرَّةً واحدة جائز لا شيء فيه. وفي حديث

أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه فلا يمسح الحصى" (رواه الخمسة).

قال الشوكاني: "والأحاديث المذكورة في الباب تدل على كراهة المسح على الحصى... وحكى النووي في شرح مسلم اتفاق العلماء على كراهته، وفي حكاية الاتفاق نظرٌ؛ فإن مالكًا لم يرَ به بأسًا، وكان يفعله في الصلاة، كما حكاه الخطابي في المعالم وابن العربي. قال العراقي في شرح الترمذي: وكان ابن مسعود وابن عمر يفعلانه في الصلاة.. وذهب أهل الظاهر إلى تحريم ما زاد على المرة". (نيل الأوطار ٢/٣٨٥).

٧- رد المار بين يدي المصلي

يُسن للإمام والمنفرد أن يصلي إلى سترة قائمة كجدار، أو عامود، أو صخرة، أو عصى، أو حربة ونحوها، رجلاً كان أو امرأة، في الحضر والسفر، وفي الفريضة والنافلة، أما المأموم: فسترة الإمام سترة لمن خلفه، أو الإمام سترة للمأموم.

والمراد بما بين يدي المصلي: أن المصلي إن كان له سترة فما بينه وبين سترته محرم، فيحرم المرور بين المصلي وسترته، في مكة أو غيرها، خلافاً لما يعتقده البعض من جواز فعل.

لكن إذا كان أمام المصلي سترة (أي : شيء مرتفع من جدار أو نحوه) ; فلا بأس أن يمر من ورائها، وكذا إذا احتاج إلى المرور لضيق المكان; فيمر، ولا يرده المصلي، وكذا إذا كان يصلي في الحرم ; فلا يمنع المرور بين يديه ; لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة والناس يمرون بين يديه وليس دونهم سترة. رواه الخمسة .

وإن لم يكن له سترة؛ فإن كان للمصلي سجادة يصلي عليها؛ فإن هذه السجادة محترمة لا يحل لأحد أن يمر بين يدي المصلي فيها، وإن لم يكن له مصلى فإن المحرم ما بين قدمه وموضع سجوده فلا يمر بينه وبين هذا الموضع.

ويشرع للمصلي رد المار بين يديه، سواء صلى إلى سترة أم لا، على الأظهر من قولي أهل العلم؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فيدفعه، فإن أبى فيقاتله، فإنما هو شيطان» (متفق عليه).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحدًا يمر بين يديه، فإن أبى فليقاتله؛ فإن معه القرين» (أخرجه مسلم).

وفي حديث أبي سعيد تقييد دفع المار فلم يقيد بوضع السترة، وفي حديث ابن عمر أطلق دفع المار فلم يقيد بوضع المصلي سترة، وكذا ورد في حديث أبي سعيد عند البخاري في رواية له؛ لأن التقييد بوضع السترة قيد أغلبي، ولا تعارض بين المطلق والمقيد، فالمقيد يبقى على تقييده، فيدفع إن اتخذ سترة، ويبقى المطلق على إطلاقه، فيرد ولو لم يتخذ سترة؛ لأن المصلي مأمور بالصلاة إلى سترة، ومأمور بدفع المار سواء امتثل فوضع سترة أم لا. (الجامع لأحكام الصلاة وصفة صلاة النبي للأئمة الأعلام - جمع عادل بن سعد، صـ ١٢٧).

وفي هذين الحديثين: مشروعية ردِّ المار بين يدي المصلي، وقرر الفقهاء: أن الرد يكون بأسهل الوجوه، فإن أبى فبأشدِّها، والمراد بالمقاتلة: الدفع بعنف وقهر، لا جواز القتل؛ لأن هذا اللفظ خرج مخرج التغليظ، والمبالغة في كراهة المرور.

وقال القاضي عياض: «وأجمعوا على أنه لا يلزمه مقاتلته بالسلاح، ولا يؤدّي إلى هلاكه، فإن دفعه بما يجوز فهلك من ذلك، فلا قود عليه باتفاق العلماء. كذا اتفقوا على أنه لا يجوز له المشي إليه من موضعه ليردّه، وإنما يدفعه ويردّه من موقفه؛ لأن مفسدة المشي في صلاته أعظم من مروره من بعيد بين يديه، وإنما أبيح له قدر ما تناله يده من موقفه، ولهذا أمر بالقرب من سترته، وإنما يرده إذا كان بعيداً منه بالإشارة والتسبيح.

وكذلك اتفقوا على أنه إذا مر لا يردّه، لئلا يصير مروراً ثانياً.(القول المبين في أخطاء المصلين لمشهور بن سليمان ١/٣٠٨).

وللحديث بقية إن شاء الله، ونسأل الله الهداية والتوفيق.

إعداد: سيد عباس الجليمي

بدعة الشعبانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: يحتفل بعض المسلمين بيوم النصف من شعبان، فيصومون نهاره، ويقومون ليلته، وقد ورد في ذلك حديث لا يصح، ولهذا عدَّ العلماء إحياء هذه اليوم بالاحتفال بدعة.

قال الشاطبي رحمه الله: « فالبدعة إذن عبارة عن طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه... ومنها التزام الكيفيات والهيئات المعينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيداً، وما أشبه ذلك.

ومنها التزام العبادات المعينة، في أوقات معينة، لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان، وقيام ليلته » انتهى من «الاعتصام» (١/٣٧-٣٩).

وقال محمد عبد السلام الشقيري: «قال الإمام الفتني في تذكرة الموضوعات: ومما أحدث في ليلة النصف الصلاة الألفية، مائة ركعة بالإخلاص عشراً عشراً بالجماعة، واهتموا بها أكثر من الجمع والأعياد، ولم يأت بها خبر ولا أثر، إلا ضعيف أو موضوع، ولا يُغتر بذكره لها صاحب القوت والإحياء وغيرهما، ولا بذكر تفسير الثعلبي أنها ليلة القدر. اهـ.

وقال العراقي: حديث صلاة ليلة النصف باطل. وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات.

وفي صلاة ليلة النصف ورد حديث: (إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها) والحديث رواه ابن ماجه عن عليّ. وفي الزوائد: إسناده ضعيف لضعف ابن أبي بسرة، وقال فيه أحمد وابن معين: يضع الحديث. اهـ.

وصلاة الست ركعات في ليلة النصف بنية دفع البلاء، وطول العمر والاستغناء عن الناس، وقراءة يس والدعاء بين ذلك؛ لا شك أنه إحداث في الدين ومخالفة لسنة سيد المرسلين، قال شارح الإحياء: «وهذه الصلاة مشهورة في كتب المتأخرين من السادة الصوفية، ولم أرَ لها ولا لدعائها مستنداً صحيحاً في السنة، إلا أنه من عمل المشايخ، وقد قال أصحابنا: إنه يكره الاجتماع على إحياء ليلة من هذه الليالي المذكورة في المساجد وغيرها».

وقال الفتني رحمه الله بعد كلامه المنقول أعلاه: «وكان للعوام بهذه الصلاة افتتان عظيم حتى التزم بسببها كثرة الوقود، وترتب عليه من الفسوق وانتهاك المحارم ما يغني عن وصفه، حتى خشي الأولياء من الخسف، وهربوا فيها إلى البراري، وأول حدوث هذه الصلاة ببيت المقدس سنة ثماني وأربعين وأربعمائة، وقال زيد بن أسلم: ما أدركنا أحداً من مشايخنا وفقهائنا يلتفتون إلى ليلة البراءة وفضلها على غيرها، وقال ابن دحية أحاديث صلاة البراءة موضوعة، وواحد مقطوع، ومن عمل بخبر صح أنه كذب فهو من خدم الشيطان». انتهى من «تذكرة الموضوعات» للفتني، ص٤٥.

وينظر: الموضوعات لابن الجوزي (١٢٧/٢)، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم، ص ٩٨، الفوائد المجموعة، للشوكاني، ص ٥١،

وبعض الناس يطلق «الشعبانية» على الأيام الأخيرة من شعبان، ويقولون: هي أيام توديع للأكل، فيغتنمونها للأكل قبل دخول رمضان، وذكرَ بعض أهل اللغة أن أصل ذلك مأخوذ من النصارى، فإنهم كانوا يفعلونه قرب صيامهم.

والحاصل أنه ليس في شعبان احتفال، ولا عبادة مخصوصة بوسطه، ولا بآخره، وفعل ذلك من البدع والمحدثات. والله أعلم.

احذر هذا الكتاب

الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة

من الكتب التي شوَّهت تاريخ صدر الإسلام كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، ولقد ساق الدكتور عبد الله عسيلان في كتابه «الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي» مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذبًا وزورًا ومن هذه الأدلة:

- إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتابًا في التاريخ يدعى «الإمامة والسياسة» ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب «المعارف».

- إن المتصفح للكتاب يشعر بأن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور.

- إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه المؤلف في «الإمامة والسياسة» يختلف تمامًا عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا، فابن قتيبة يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب «الإمامة والسياسة»، فمقدمته قصيرة جداً لا تزيد على ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات ابن قتيبة.

- يروي مؤلف الكتاب عن ابن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه، قاضي الكوفة، توفي سنة ١٤٨هـ، والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة ٢١٣هـ، أي بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عامًا.

- إن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه لم يرد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب.

- إن قسمًا كبيرًا من رواياته جاءت بصيغة التمريض، فكثيرًا ما يجيء فيه: ذكروا عن بعض المصريين، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر، ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة ولم ترد في كتاب من كتبه.

- إن مؤلف «الإمامة والسياسة» يروي عن اثنين من كبار علماء مصر، وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين.

- ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء فهو عندهم من أهل السنة، وثقة في علمه ودينه، يقول السلفي: كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة، ويقول عنه ابن حزم: كان ثقة في دينه وعلمه، وتبعه في ذلك الخطيب البغدادي، ويقول عنه ابن تيمية: وإن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد واسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة، ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين، هل من المعقول أن يكون مؤلف كتاب «الإمامة والسياسة» الذي شوَّه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم؟!

يقول السيد محمود شكري الألوسي في مختصره للتحفة الاثنا عشرية: ومن مكايدهم -يعني الرافضة- أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة، فمن وجدوه موافقًا لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته، كالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير، والسدي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة، والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غال، وعبد الله بن قتيبة رافضي غالٍ وعبدالله بن مسلم ابن قتيبة من ثقات أهل السنة، وقد صنَّف كتابًا سماه بالمعارف، فصنف ذلك الرافضي كتابًا سماه بالمعارف أيضا قصدًا للإضلال. وهذا مما يرجح أن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الرافضي وليس لابن قتيبة السني الثقة، وانما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء، والله أعلم.

أثر السياق في فهم النص

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

حجاب المرأة المسلمة (1)

الحلقة ٩٢

إعداد/ **متولي البراجيلي**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

سنتناول- بإذن الله تعالى- حجاب المرأة المسلمة بشيء من التفصيل، مستعرضين أدلته من الكتاب والسنة، مستخدمين القرائن في تحديد مسائل الخلاف والنزاع، كما هي الطريقة المتبعة في البحوث التي أحررها في هذا الباب.

أولا: نصيحة:

في حديث تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». (صحيح مسلم).

١- إن في صلاح المرأة صلاحًا للمجتمع؛ فالمجتمع يتكون من عنصرين؛ هما الرجل والمرأة، فالمرأة نصف المجتمع وتلد نصفه الآخر، لذا فقد اهتم الإسلام بها. والوصية بها من آخر وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما بحديث: «استوصوا بالنساء خيرًا؛ فإنهن عوان عندكم...». (صحيح مسلم).

لكن في نفس الوقت حذر من تفلتها من تعاليم شرعها واتباع هواها؛ لأن فسادها سيكون وبالا على المجتمع، كما حدث في الأمم السابقة، ففي حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون؟ فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء». (صحيح مسلم). وكذلك حديث أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما تركت بعدى فتنة هي أضر على الرجال من النساء». (متفق عليه).

وقد قدم الله تعالى في كتابه العزيز فتنة النساء على سائر فتن الدنيا، قال الله تعالى: «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ» (آل عمران: ١٤).

وحجاب المرأة جزء من كل؛ هذا الكل هو منهج متكامل لإقامة المجتمع على الصلاح والعفة والطهارة والاستقامة، هذا المنهج الذي شرعه الله تعالى لكل عنصر من عناصر المجتمع.

٢- الحجاب فرض الله تعالى على المرأة:

فليس لها الخيار طالما تنتسب إلى هذا الدين، كما أنها ليس لها

الخيار فيما افترضه الله عليها من سائر الفرائض كالصلاة والصيام وغير ذلك، فشرع الله تعالى يقابَل بالسمع والطاعة، قال الله تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء: ٦٥)، فلا يجد العبد في صدره حرجًا من أوامر الله تعالى ونواهيه، وحرج المرأة من الحجاب يكون تابعًا لعدم أدائها العبادات والطاعات كما ينبغي، فلو وجدت لذة الطاعة لفتشت عن كل ما يرضي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ونفذته بحب وإقبال.

٣- ترك الحجاب كبيرة من الكبائر:

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». (صحيح مسلم).

قال الإمام النووي: «هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع هذان الصنفان.. قيل معناه كاسيات من نعمة الله تعالى عاريات عن شكرها، وقيل تستر بعض بدنها وتكشف بعضه، أو تلبس ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها. (انظر شرح النووي على مسلم ١٤/١١٠)، أو تلبس ملابس تحدد تفاصيل جسدها تمامًا.

وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلعنهن فقال: «.. نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات» (أخرجه ابن حبان وحسنه الألباني).

ترك الحجاب كبيرة من الكبائر.

(البخت: جِمَال طوال الأعناق، أي أنها تكبر شعر رأسها وترفعه كالعمامة لتلفت النظر إليها).

ولقد حذر الإسلام من التبرج أشد تحذير إلى درجة أنه قرنه بالشرك بالله والزنا والسرقة، وغيرها من المحرمات؛ ففي حديث بيعة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يرويه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبايعه على الإسلام، فقال: «أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئًا، ولا تسرقي ولا تزني، ولا تقتلي ولدك، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك، ولا تنوحي ولا تتبرجي تبرج الجاهلية الأولى». (مسند أحمد ح٦٨٥، انظر جلباب المرأة المسلمة للألباني ص ١٢١).

ثانيا: شروط الحجاب:

الحجاب له شروط مأخوذة من الآيات والأحاديث، وهذه الشروط كلها تصب في مقصد رئيس وهو منع المرأة من أن ترتدي أي زيّ يُظهر شيئًا من مفاتنها، بصرف النظر عن الأسماء، فالعبرة بالمعاني والمباني وليست بأسماء يطلق عليها أسماء الحجاب، ثم هي لا تحقق شيئًا من مقصده ولا معناه، وهذه الشروط هي:

١- استيعاب جميع البدن:

قال الله تعالى: «وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن» (النور: ٤)، وهذا الشرط سنعود إليه بالتفصيل، إذ هو الغرض من كتابة هذا البحث.

٢- أن لا يكون زينة في نفسه:

وفي حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيًا، وأمة أو عبد أبق فمات، وامرأة غاب عنها زوجها، قد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلا تسأل عنهم..». (مسند أحمد ٢٣٩٤٣، وهو في السلسلة الصحيحة ٥٤٢).

والتبرج هو أن تبدي المرأة من زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره، وكما ذكرنا أن المقصد من الحجاب هو ستر زينة المرأة، فلا يعقل أن يكون هو زينة في نفسه.

٣- أن يكون صفيقًا لا يشف:

الملابس الشفافة تزيد المرأة فتنة وزينة، ونحن ذكرنا حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي فيه.. «نساء كاسيات عاريات».

وعن علقمة بن أبي علقمة عن أمه أنها قالت: دخلت حفصة

بنت عبدالرحمن على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها - وعلى حفصة خمار رقيق فشقته عائشة وكَسَتْهَا خمارًا كثيفًا (السنن الكبرى للبيهقي ح ٣٢٦٥، جلباب المرأة المسلمة ص ١٢٦).

٤- أن يكون فضفاضًا غير ضيق فيصف شيئًا من جسدها:

فرفع الفتنة لا يتأتى إلا بالفضفاض الواسع، فأما الضيق وإن ستر لون البشرة، فإنه يصف حجم جسم المرأة، بل كل تفاصيل جسدها، وكأنها تمشي عارية، وفي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية (ثياب تأتي من مصر) مما أهداها له دحية الكلبي، فكسوتها امرأتي فقال: لَمْ لَمْ تلبس القبطية؟ قلت: كسوتها امرأتي. فقال: مُرها فلتجعل تحتها غلالة فإني أخاف أن تصف حجم عظامها. (مسند أحمد ح ٢١٧٨٦، انظر الثمر المستطاب للألباني ص ٣١٨) (الغلالة: ما يلبس تحت الثوب يمنع وصف بدن المرأة).

٥- ألا يكون معطرًا:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما امرأة استعطرت ثم مرت على قوم، ليجدوا ريحها فهي زانية» (مسند أحمد ح ١٩٧٤٧، صحيح الجامع ٣٢٣).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه:... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من امرأة تطيبت (تعطرت) للمسجد فيقبل الله لها صلاة حتى تغتسل اغتسالها من الجنابة» (مسند أحمد ٧٩٥٩).

وفي رواية: أنه لا تقبل صلاة لامرأة تطيبت بطيب لغير زوجها حتى تغتسل منه غسل الجنابة». (انظر السلسلة الصحيحة ح ١٠٣١ ورواياته).

والتبرج هو أن تبدي المرأة من زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره.

٦- ألا يشبه زي الرجال:

في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث لا يدخلون الجنة، ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق والديه، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث...». (مسند أحمد ح ٦١٨٠ والألباني في السلسلة الصحيحة ح ٦٧٤).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال». (صحيح البخاري ح ٥٨٨٥)، فنهى كلا من الرجال والنساء عن مشابهة الآخر، فالرجل المتشبه بالنساء يكتسب من أخلاقهن بحسب تشبهه، والمرأة المتشبهة بالرجال تكتسب من أخلاقهم حتى يصير فيها من التبرج والبروز ومشابهة الرجال مما قد يفضي ببعضهن إلى أن تظهر بدنها كما يظهره الرجال، وتفعل من الأفعال ما ينافي حياءها.

٧- ألا يشبه زي الكافرات:

وهذه قاعدة عظيمة في الشريعة الإسلامية، وليست في الزي فحسب- أن تتميز الأمة ولا تنماع وتذوب في شخصية غيرها، ولو كان ذلك في الملبس يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يشبه الزيُّ الزيَّ حتى تشتبه القلوب» (مصنف ابن أبي شيبة ح ٣٤٥٤٨).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس فإن اللابس بثياب أهل العلم مثلاً، يجد في نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلا، يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيًا لذلك». (اقتضاء الصراط المستقيم ١/٤٤).

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم» (صحيح سنن أبي داوود ح ٤٠٣١).

٨- أن لا يكون زي شهرة:

وهو كل ثوب يقصد به الاشتهار بين الناس ولفت الأنظار إليه، سواء كان الثوب غاليًا يلبسه تفاخرًا بالدنيا وزينتها أو خسيسًا رخيصًا يلبسه إظهارًا للزهد والرياء، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه نارًا». (صحيح سنن ابن ماجه ح ٣٦٠٧).

والله أعلم، وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

أُصُولُ الآدَابِ وَجَوَامِعِ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ

الأمَانَةُ في زَمَنِ الزَّمَانَةِ

عِلَاجُ ضَعْفِ الأمَانَةِ (٢)

الحلقة السابعة

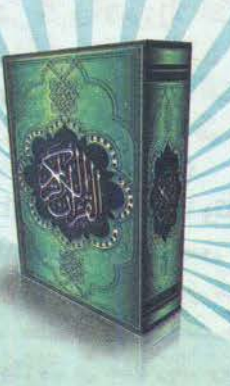

إعداد/ **د. عماد عيسى**

المفتش بوزارة الأوقاف

الحَمْد لله الذي منَّ علَيْنَا بهدَايته، وأَخَذَنَا منْ غَمْرَةِ الجَهْل وعَمَايَته إلى الدِّرايَة بالعلم وروايَته، وصلَّى الله على نَبيِّنَا محمد خيْرِ بَريَّته، وعلى آله وعتْرَته وأهْل بيته مَوْضع عنَايته، وعلى أصحابه الذينَ خَصَّهمُ الله بصُحْبَته وفَازُوا بمَعيَّته، وقَامُوا بحمَايته فحَازُوا طرفي الفضْل في بدَايته ونهَايته، ومنْ تبعَهُم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين من أهْل ملَّته، وطَالبي رفْقَته ورَافعي رَايَته.

وبعد، فنُوَاصلُ حَديثَنَا في علاَج ضَعْف الأمَانَة عَسَى أنْ نَشَيِّدَ من بُنْيَان الأمَانَة مَا وَهَى، ونشُدَّ من بنَائه ما قُوضَ وصَارَ عَلَى شَفًا، مَعَ محَاوَلَة نَقْض نَوَاقض الأمَانَة من القَوَاعد فنَذَرُها -أيْ النَّوَاقض- قَاعًا صفصفًا لا تَرَى فيهَا عوَجًا ولا أمْتًا، وهُوَ أمرٌ لا مسَاغَ للقَلَم إلاَّ أنْ يَكْتُب عَنْهُ- والكتَابُ يُتَرْجمُ عمَّا في الضَّمير ويُفْصحُ- فَلَقَدْ قَفَّ شَعْري، وعَظُمَ تعَجُّبي -واللهِ- ممَّا أرَى، لَذَا فَلاَ أحلُّ قَلَمي ولا أُعْفيه من كدِّ الكتابَة عنه والتَّصنيف، ولا يكفيه وجوبًا ولا يجزئ عنه إلا الانتصابُ لحقِّ التأليف، وأنا في ذلك ملْتَمسٌ من الله تعالى التَّوفيق إلى إصَابَة القَوْل وصَوَاب العَمَل، مع رَجَاء العصْمَة من الخَلَل والزَّلَل، فإلَيْه المَلْجَأُ والمَصيرُ، وهو عَلَى كلِّ شيءٍ قَديرٌ، فأقُولُ وبالله التَّوفيق:

منْ أسْبَاب علاَج ضعف الأمَانَة مَا يلي:

رابعًا: التخْويف منْ عاقبَة ضَيَاعهَا:

من المُسَلَّمَات المقْطُوع بها التي لا يَخْتَلف فيها اثْنَان ولا يَنْتَطح عليه

عَنْزَان، أنَّ الحرصَ على الشَّيْء يكون بمعرفة قيمته وبقَدْرِ خَوْف فَوَاته وخشية فُقْدَانه، إذ إنَّ مَنْ أمِنَ فقْدَ الشَّيْء فرَّطَ في حفظه وأهْمَلَ في رعايته، حَتَّى تَنْحَسرَ مُشرِّقَةُ مغاربُه، وتَذْهَبَ مُوَلِّيَةً مَذَاهبُه، وتضيع فرصة المحافظة عليه والفرصة سريعة الفوات بطيئة العودة، وهَذَا أمْرٌ سَلَّمَ به النَّاسُ، وَألفَتْهُ الطِّبَاعُ وعَرَفَتْهُ، فَانْهَ نفسَكَ عَنْ التَّفريط في الأمَانة وخُذْ من نَفْسكَ لنَفْسكَ، واتَّخذْ لَهَا منْهَا زَاجِرًا حتَّى تَنْهَضَ بلوَائِهَا وتَقُومَ بأعْبَائهَا.

لا زَجْرَ للأنفُس عَنْ غَيِّها
ما لَمْ يَكُنْ منْهَا لَهَا زَاجرُ

وَدَوَاؤُنَا في جُرْعَة خَوْف تُفزعُ القُلُوبَ وتُشعرُها بخُطُورة القَضيَّة، وكَوْنهَا مَخْرَجًا مِّمَا نَحْنُ فيه كما قَالَ القَائلُ:

دَوَاؤُكَ فيكَ ومَا تُبْصرُ
ودَاؤُكَ منْكَ ومَا تَشْعُرُ

ولو اتَّخَذْتَ مُعينًا على ذلك فلا ضَيْرَ إذ المَرْءُ قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخْوَانه لا سيَّمَا إذَا ظافَرُوه وظَاهَرُوه، ومَانُوه وأعَانُوه، وقد قَالَ الله تَعَالَى عَلَى لسَانِ كَليمه موسَى: « وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ » (القصص: ٣٤- ٣٥).

والاثنان فما فوقهما جماعة (وهو لفظ حديث ضعيف من جميع طرقه، خرجته عن ستة من الصحابة في كتابي (الأحاديث التي أوردها البخاري في تراجم صحيحه، يسر الله إتمامه)، وقد أفلح من رُزقَ صَاحبًا صَالحًا إن نَسيَ ذكَّره وإنْ ذَكَرَ أعَانَه، واحْذَرْ أَنْ تَقُولَ مَقَالَةَ العَرَبيِّ الغَاوي:

وهَلْ أنَا إلاَّ منْ غَزيَّةَ إنْ غَوَتْ
غَوَيتُ وإنْ تَرشُدْ غَزيَّةُ أرْشُدِ

فإنَّ هَذه خُدْعَةٌ من إبْليسَ يُضَعْضعُ بهَا القُوَّةَ ويُورثُ المرءَ بهَا وَهَنًا على وَهَنٍ وذلَّة وضَعْفا، ويتَّخذَها إلى غَيْر ذلكَ من المَعَاصي سُلَّمًا ومرْقَاةً.

فخَوِّفْ نَفْسَكَ وخُذ العَهْدَ عَلَيْها حتَّى تَسْتَقيمَ لكَ، واشْغَلْ قَلْبَكَ وفكْرَكَ بتَحْصيل الأخْلَاق الحَميدَة والصِّفَات الجيِّدَة، ولا تَتْرُكْ قلبَكَ فارغًا فيصبحَ خَرَابًا، واعْلَمْ أنَّه بالقَلْب الفَارغ تُكْسَبُ الآثَامُ وإنْ كان شُغْلُ المرء بالفَضَائل مكرُمَةً وعَمَلُه بالمَحاسن مَحْمَدَةً، فَلاَ رَيْبَ أنَّ الفَرَاغَ مَفْسَدَةٌ.

إنَّ الفَرَاغَ والشَّبَابَ والجدَةْ
مَفْسَدَةٌ للمَرْء أيُّ مَفْسَدَةْ

والله تعالى يُحْسنُ العَاقبَةَ ويَخْتمُ لَنَا بخَيْر.

خامسًا: تَذْكيرُ النَّاسِ بحَقَارة الدُّنيَا وضَآلتهَا وقصَر مُدَّتها:

وهَذَا عَلاَجٌ نَاجعٌ لمَنْ أخَذَ به، إذْ إنَّه لا يَخُونُ عَبْدٌ أمَانَتَه إلاَّ وحُبُّ الدُّنيَا من وَرَاء ذَلكَ، لهَذَا تَجدُ أكْثَرَ النَّاس حرصًا على الدنيا هم أكثر النَّاس تفريطًا في الأمانة ولا غرو فحُبُّ الدنيَا رأسُ كلِّ خَطيئَة، وهؤلاء وإن أخذوا منها مرادهم فعملهم في الآخرة باطل وإلى بوار، قال تعالى: « مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » (هود: ١٥- ١٦)، وقال أيضًا: « مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا » (الإسراء: ١٨).

بينما تَلْقَى أكثرَ الناس ورعًا وتَلْفَى أشدَّهم زُهْدًا في الدنيا هم أحرص الناس على الأمانة « وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا » (الإسراء: ١٩- ٢٠).

ومَتَى عَلمَ النَّاسُ قيمَةَ الدُّنْيَا وَعَجَلَتَها وصَيْرُورَتَهَا إلَى الفَنَاء، ثُمَّ الحسَاب عَلَيْهَا والجَزَاء في الآخرَة فَزعُوا وأنَابُوا إلى الله

ولم يَأْتُوا شَيْئًا نُكْرًا، غَيْرَ أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا دَاءٌ لاَ تَخْمَدُ جَذْوَتُه مع تَبَدُّل الأَيَّام، ولاَ تَسْكُنُ حدَّتُه بِتَغَيُّرِ الأَزْمَانِ.

قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: " الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فيهَا إلاَّ ذكْرَ اللَّه وَمَا وَالاَهُ أَوْ عَالمًا وَمُتَعَلِّمًا " رواه الترمذي. وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: " مَا الدُّنْيَا في الآخرَة إلاَّ كَمَا يَضَعُ أحدُكم أصْبُعَه في اليَمّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ " رواه مسلم.

هيَ الدُّنْيَا أقلُّ منَ القَليل
وعَاشقُهَا أذَلُّ منَ الذَّليل
تُصمُّ بِسحْرِهَا قَوْمًا وَتُعْمي
فهُمْ مُتَحيرُون بلاَ دَليل

وانظُرْ أخَا الإسْلاَم إلَى مَنْ عَاشَ العُمْرَ المَديدَ، وسَكَنَ القَصْرَ المَشيدَ، ومَلَكَ النَاسَ، وجَمَعَ الجُنْدَ الحَشيدَ، ووطَّد سُلْطَانَه ببَأس شَديد، هَلْ آلَ أمْرُهُ بعْدَ أنْ كَانَ قَائمًا إلاَّ إلَى زَرْع حَصيد؟! لَقَدْ نَزَلَ به المَوْتُ وحَمَلَ علَى الآلَة الحَدْبَاء إلَى الحَفْرَة الجَدْبَاء.

وتَأَمَّلْ في حَال مَنْ جَمَعَ منَ المَال الوَفْرَ والأحْمَال منْ غَيْر أنْ يَعْبَأ بحَرَام ولاَ حَلاَل، وضَمَّ إليه الحُسْنَ والجَمَال، كيفَ رَكب طَبَقًا عن طَبَق وتبدَّلَ أمرُه من حَال إلَى حَال؟ فَاخْتَلَفَتْ فيه أسنَّة الأسْقَام، وَحُطَّتْ بَيْنَ يَدَيْه رحَالُ الآلاَم، وهَجَمَتْ عَلَيْه هُجُومَ الحمام فَغَيَّبَتْه في الثَّرَى والرُّغَام، ثم صَارَ إلى سُوء المَآل وسَاءَ حسَابُه بين يَدَيْ ذي الجلاَل ولله عَاقبَةُ الأمُور.

واعْلَمْ أخَا الإسْلاَم أنَّ النَّاسَ قَدْ وَلعُوا بالدُّنيا تَعَلُّقًا وصَبَابَةً مَعَ أنَّه لَمْ يَبْقَ في إنَائهَا إلاَّ صُبَابَةٌ يَتَصَابُّها أحَدُنَا منَ الإنَاء، وَيَالَيْتَهَا كَانَتْ صَافيَةً بَلْ هيَ صُبَابَةٌ قَليلَةٌ لَمْ تَصْفُ منْ شَوْب الكَدَر والغير، هذا مع تَوَارد المُثُل وكَثْرَة العبَر منْ بَيْنَ أيْديهم ومنْ خَلْفهمْ وعَنْ أيْمَانهم وعَنْ شَمَائلهم، لكنَّهم ما أسْرَعَ مَا يَنْسَوْنَ، فَأيْنَ صَفَاءُ الدُّنْيَا ورَاحَتُها يا أهْلَ الدُّنْيَا، وهَلْ يُطْلَبُ النَّعيمُ في دَار المحْنَة؟!

بَنُو الدُّنيا بجهلٍ عظَّمُوها
فجَلَّتْ عندهم وهي الحقيرَة
يُهارش بعضُهم بعضًا عليها
مُهارشَةَ الكلاَب على العَقيرَة

فَلاَ تَرْضَ بالدُّنيَا عوَضًا عَن الآخرَة، وَلاَ تُؤْثرَنَّ فَانيًا عَلَى بَاق، ولاَ تبع الغَالي بالرَّخيص، وَلاَ تَشْتَر شَقَاوَةً بسَعَادَة، وإنْ لمْ تَفْعَلْ فَسَتَلْقَى عَثْرَةً تَتْبَعُهَا حَسْرَةٌ، ثُمَّ يكونُ الخُسْرانُ المبينُ، أعَاذَنا الله منه، والسَّعيدُ من اتَّعَظَ بغَيْره.

سَادسًا: عَدُّ فقْد الأمَانَة بَلاَءً وتهمةً:

منَ المُقَرَّر المعْلُوم أنَّ منْ سَلَكَ مَسَالكَ التُّهَم اتُّهم وهو مُليمٌ، ومن رَاوَغَ مُرَاوَغَةَ الثَّعَالب فَقَدْ حَادَ عَنْ المسْلك اللاَّحب، ومَن لَّمْ يَعُدَّ فقْدَ الأمَانَة من البَلاَء فربما عُوقب بفقْدها، ومن فقَدها فقَد صار محلول العقال موسوم الأغفال، لأنه اشْتَدَّتْ غَبَاوَتُه وتمَّتْ شقْوَتُه وصَارَ كالأعْمَى يُقَادُ بلاَ حسٍّ إلَى حَتْفه.

ومَنْ عَدَّ فقْدَ الأمَانَة بَلاَءً لم يَجدْ أنَسَةً إلاَّ بهَا وضَرَبَ بينَه وبين فُقْدَانها الحُجُب، وأرْخَى بَيْنَهُ وبَيْنَ ذَهَابهَا السُّتُورَ.

منْ قَال قوْلاً غيْرَ ذا فقَدْ ظَلَمْ
وجَارَ في الحُكْم وبئْسَ ما جَرَمْ

أمَّا وُجُودُ مَنْ يَعُدُّ الأمانةَ ضعفًا ومَهَانةً فهَذه حَسْرَةٌ، ونَقْصٌ في المَسَرَّة، ومن كانَ هَذَا سبيلُه فهو سبيلٌ لَيْسَ فيه شفَاءُ غَليل ولا بُرْءُ عَليل إذ هو خَفيفُ العقل مزلزله، بَلْ عَلَى شَفَا رَفْع القَلَم عنْهُ ومثْلُ هذا لا دَوَاءَ لدَائه إلاَّ أن يَرْجعَ إليه عقْلُهُ ويَجْري عليه قَلَمُ التَّكْليف بَبُرْئه منَ الخفَّة والطَّيْش وضَعْف الحلم وَسَفَاهَةَ العقْل ولاَ يَكُون هذَا إلاَّ منْ بعد إذْنه سُبحَانَه وتَعَالى، وبالله الكريم عوني وأسأله إياه التوفيق إلى الحق وعن الباطل صوني.

وَالْحَمْدُ لله أوَّلاً وَآخرًا وَظَاهرًا وَبَاطنًا، وصَلَّى اللّه عَلَى نَبيِّنَا مُحَمَّد وَعَلَى آله وَصَحْبه أجْمَعينَ.

الوصايا النبوية الجامعة

إعداد/ معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: ففي هذا المقال أضع بين أيديكم شرحًا منهجيًا ميسرًا لحديث نبوي جليل القدر، عظيم الشأن، فيه من الوصايا الجامعة النافعة ما يتجلى فيها حرص النبي صلى الله عليه وسلم البالغ على هداية أمته، وصلاح أمرها من بعده؛ فأوصاهم في مفتتح الوصايا بالتقوى لأنها الغاية الأسمى، والمطلوب الأسنى، ولا يَصل إليها العبد؛ إلا بتحقيق بقية الوصايا وذلك بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ونبذ الخلاف والفُرقة واتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وسنة خلفائه الراشدين، واجتناب البدع والمحدثات في الدين.

فلا نجاةَ للعبد إلا بهذه الوصايا مُجتمعة، فأكرم بها من وصايا وأنعم بها من توجيهات، وهاكم البيان والتفصيل، فنقول مستعينين بالله تعالى:

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا بوجهه؛ فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب؛ فقال رجل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودع؛ فأوصنا؟

قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور؛ فإن كلّ مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة. (صحيح المشكاة: ١٦٥).

الفوائد المستفادة من الحديث

(١) فيه بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد وصفَ العرباضُ رضي الله عنه موعظتَه بأنها: بليغة. والبلاغة: وَجازة اللفظ، وكثرة المعنى، مع البيان.

وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته: بين الحقوق الواجبة لله تعالى في قوله: "أوصيكم بتقوى الله"، وبين حقوق العباد فيما بينهم في قوله: " أوصيكم... والسمع والطاعة"، وجمع بين الأمر بالغاية في قوله: "أوصيكم بتقوى الله".

وبين الأمر بالوسيلة إلى هذه الغاية في بقية الوصايا، كما أنه جمع بين الترغيب في قوله "فعليكم بسنتي..." وبين الترهيب في قوله: "وإياكم

ومُحدَثات الأمور".

وهذا مما ينبغي للدعاة إلى الله الاعتناء به؛ فإن كثيرًا من الدعاة اليوم يُطيلون الكلام فيما ليس فيه كبير مَنفعة؛ فضلاً عما لا منفعة فيه؛ فضلا عما تُرجى منه المضرة!

أهمية الموعظة وأثرها

(٢) فيه أهمية الموعظة في الدعوة، وبيان حُسن أثرها على الناس.

وشرطها: أن تكون من مواعظ الكتاب والسنة، غير ممزوجة بقصص الكذابين والقُصَّاص الذين يفسدون ولا يصلحون.. قال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله: المواعظ تكون بالكلام الذي يُرقِّق القلب، ويُؤثِّر في النفس، ويحث على الإخلاص والعمل، وتكون بالآيات وبالأحاديث النبوية الصحيحة الثابتة، ولا تكون بالأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ فإن هذه لا يُشتَغل بها، وإنما يُشتغل بما صحَّ وثبت. (شرح الأربعين).

والدعوة لا تُؤتي ثمارها إلا إذا وُضعت في مكانها الصحيح، قال ابن مسعود رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوَّلنا بالموعظة في الأيام، كراهة السآمة علينا. (متفق عليه: البخاري ٦٨، مسلم ٢٨٢١).

وقال رضي الله عنه: إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وفَترة وإدبارًا، فخذوها عند شهوتها وإقبالها، وذَروها عند فترتها وإدبارها. (أدب المجالسة: ١٠٧).

(٣) فيه أن الوصية بتقوى الله أهم الوصايا وأعظمها؛ فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم قدَّمها على غيرها من الوصايا؛ فكذلك هي وصية الله للأمم أجمعين، قال الله تعالى: « وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ » (النساء: ١٣١)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أكثر ما يُدخل الناسَ الجنةَ: تقوى الله، وحُسن الخلق. (السلسلة الصحيحة: ٩٧٧).

طاعة ولاة الأمور:

(٤) فيه الأمر بالسمع والطاعة لولي الأمر المسلم، أيًا كان حاله، وطريقة توليه الحكم، ولو كان عبدًا! قال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله: وقد أجمع العلماء على أنَّ العبدَ ليس أهلاً للخلافة، ويُحمل ما جاء في هذا الحديث وغيره من الأحاديث في معناه: على المبالغة في لزوم السمع والطاعة للعبد إذا كان خليفة، وإن كان ذلك لا يقع. (فتح القوي المبين: ٩٧).

وقال الطيبي رحمه الله: وهذا وارد على سبيل المبالغة لا التحقيق، كما جاء: مَن بَنى لله مسجدا، ولو كمفْحَص قَطاة. يعني: لا تستنكفوا عن طاعة مَن وُلِّي عليكم، ولو كان عبدا حبشيا، إذ لو استنكفتم عَنه لأدَّى إلى: إثارة الحروب، وتهييج الفتن، وظهور الفساد في الأرض.. فعليكم بالصبر والمداراة، حتى يأتي أمرُ الله. (شرح المشكاة: ٢/ ٦٣٤)

تحريم الخروج على ولاة الأمور:

(٥) فيه رد على الخوارج ومن شايعهم؛ الذين يَرون الخروج على الحاكم المسلم الظالم! فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالسمع والطاعة لولي الأمر المسلم؛ ولو كان أقل الناس نَسَبا، كما جاء في الحديث: "وإن كان عبدا حبشيا"، وأمر بطاعته، ولو كان مُحتقَر الخِلقة لدى الناس، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل حبشي، كأن رأسه زبيبة. (صحيح البخاري: ٦٩٣).

الزبيبة: العنبة اليابسة. وأمر بطاعته، ولو كان أقل الناس قوة، كما قال أبو ذر رضي الله عنه: إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدا مُجدَّع الأطراف. (صحيح مسلم: ١٨٣٧).

مُجدَّع الأطراف: مَقطوعها.

وأمر بطاعته، ولو ظلمك في نفسك ومالك، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: يكون بعدي أئمة، لا يَهتدون بهُداي، ولا يَستنون بسُنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قال حذيفة: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركتُ ذلك؟ قال: تسمع وتُطيع للأمير، وإن ضربَ ظهرك، وأخذ مالك؛ فاسمع وأطع. (صحيح مسلم: ١٨٤٧).

وأمر بطاعته، ولو استأثر بالدنيا، ووقع في المعصية والبدعة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنكم سترون بَعدي أثَرة، وأمورا تُنكرونها. قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدُّوا إليهم حقَّهم، وسَلُوا الله حقَّكم. (صحيح البخاري: ٧٠٥٢).

تنبيه: والطاعة في هذه الأحاديث وغيرها مُقيَّدة بما ليس بمعصية لله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

(صحيح الجامع: ٧٥٢٠).

وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما الطاعة في المعروف. (صحيح البخاري ٧١٤٥).

ولا يقتضي السمع والطاعة لولي الأمر محبته إن كان ظالمًا أو فاسقًا أو مُبتدعًا.. بل يجبُ كُره ما عليه من ظلم وفسق وبدع، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَن ولي عليه وال، فرآه يأتي شيئا من معصية الله؛ فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعنّ يدًا من طاعة. (صحيح مسلم: ١٨٥٥).

داء الفرقة وعلاجها:

(٦) فيه الإرشاد إلى الدواء الشافي والكافي لداء الفُرقة، وبلاء الاختلاف؛ فقوله: "فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين": هو وحده الحلُ الناجح، والدواء الناجع لاجتماع المسلمين اجتماعا يُحبه الله ويرضاه، وليس دون ذلك سوى خرط القَتاد! فهلموا إلى سنة نبيكم ومنهاجه الصالح تفوزوا وتسعدوا.

(٧) فيه تفضيل الخلفاء الراشدين على غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: والحديث يدلُّ على تفضيل الخلفاء الراشدين على غيرهم من الصحابة. وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة. (شرح المشكاة: ٢/٦٣٥).

وقال العيني رحمه الله: فإن قلتَ: مَن الخلفاء الراشدون؟ قلتُ: لا شك أن المراد منهم هاهنا: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين؛ لقوله عليه السلام: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تصيرُ مُلْكًا عَضوضًا. (نخب الأفكار: ٢/١٤٩).

(٨) فيه أن سُنة الخلفاء الراشدين هي من سنة النبي الأمين صلى الله عليه وسلم؛ فقوله: "فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها...": أوضح دليل على ذلك؛ لأن هاء الضمير في قوله: "تمسكوا بها" جاء بالإفراد، ولم يقل: "بهما"، والأصل في الضمير أن يرجع إلى آخر مَذكور (وهو سنة الخلفاء) ولكن لما كانت سُنة النبي صلى الله عليه وسلم، وسنة خلفائه الراشدين شيئا واحدا جاء الأمر بالتمسك بهما بضمير مُفرَد؛ فقال: "تمسكوا بها".

ميزان ضروري وضابط مهم:

(٩) فيه التنبيه إلى أصل مهم من أصول الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية؛ الذي هو الفارق الفاصل بين أهل السنة والجماعة، وبين أهل البدعة والفُرقة، على اختلاف مشاربهم، وتفاوت ما أحدثوه في دين الإسلام.. فكل مُنتسب للإسلام يدَّعي أنه على الكتاب والسنة، فإذا جَحد أحدَهما (فضلا عن كليهما) فليس له من الإسلام نصيب، ومن أخذ بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فمَن تبعهم بإحسان... فأولئك هم المنصورون حقا في الدنيا، الناجون في الآخرة، وهذا هو المنهج المَرضي عند الله في الأرض وفي السماء، فَحَمداً لله على نعمه، ومن أعرض عن هذا الأصل الأصيل، والركن الركين... فقد حاد عن صراط الله المستقيم، وسلك سُبلا ليس له فيها إمام إلا الشياطين.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: خطَّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال: هذه سُبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو له، ثم قرأ: «وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله» (صحيح المشكاة: ١٦٦)، فعلى قدْر الإعراض عن فهم السلف الصالح للكتاب والسنة يكون الاتباع لهذه السبل، وتلك الشياطين.

وإياكم ومحدثات الأمور:

(١٠) فيه التحذير الشديد من الإحداث في دين الله تعالى؛ فإن دين الله تامٌّ وكامل.. لا يَقبلُ النقص فيه، ولا الزيادة عليه، قال الله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» (المائدة:٣)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه قد: أكملَ لهم الإيمان؛ فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمه الله جَلَّ ذكره؛ فلا يَنقصه أبدا، وقد رضيه الله؛ فلا يَسخطه أبدا. (تفسير الطبري: ٩/٥١٨).

فمن زاد على ما أكمله الله وأتمه ورضيه... فقد ابتغى غير الإسلام «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبَل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»، وقال

ابن رجب رحمه الله: "فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين- ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه- فهو ضلالة، والدين منه بريء، وسواء من ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة. (جامع العلوم والحكم: ٢/١٢٨).

فيه علامة وبرهان على نبوّة النبي صلى الله عليه وسلم فإن الفُرقة والاختلاف التي أخبر عنها قد وقعت كما أخبر، حتى صار حال عامة الطوائف المنتسبة إلى الإسلام كما قال الله تعالى: «كلُّ حزب بما لديهم فرحون»! ولا شك أن هذا من البلاء الجسيم، والابتلاء العظيم لهذه الأمة المحمدية؛ فقد قضى ربنا هذا الاختلاف قَدَرًا وكونًا، وأمرنا بضده دينًا وشرعًا؛ فقال جل وعلا: «واعتصموا بحبل اللّه جميعًا ولا تفرقوا»، قال ابن مسعود رضي الله عنه: حبلُ الله: الجماعة. (تفسير الطبري: ٧/٧١).

ليس في الإسلام بدعة حسنة:

(١١) فيه رد على المتصوفة ومن يرى أن في الإسلام بدعة حسنة؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كلُّ مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" فأنَّى لها الحُسنُ؟! قال ابن عمر- رضي الله عنهما-: " كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة " (الإبانة الكبرى: ٢٠٥).

وقال الإمام مالك رحمه الله: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة! لأن الله يقول: «اليومَ أكملتُ لكم دينكم...»، فما لم يكن يومئذ دينا؛ فلا يكون اليوم دينا. (الاعتصام: ١/٦٥-٦٦).

قال الأمير الصنعاني رحمه الله: "ليس في البدعة ما يُمدح! بل كل بدعة ضلالة". (سبل السلام: ٢/١٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (لا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الكلية الجامعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي قوله: " كل بدعة ضلالة " بسلب عمومها، وهو أن يقال: ليست كل بدعة ضلالة، فإن هذا إلى مشاقة الرسول أقرب منه إلى التأويل)، وقال: (إن قصد التعميم المحيط ظاهر من نص رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة الجامعة، فلا يعدل عن مقصوده بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم)، وذكر شيخ الإسلام: أن تخصيص عموم النهي عن البدع بغير دليل من كتاب أو سنة أو إجماع لا يقبل، فالواجب التمسك بالعموم). (الاقتضاء: ٢/٥٨٨- ٥٨٢).

وقال الشاطبي رحمه الله: "(كل بدعة ضلالة) محمول عند العلماء على عمومه لا يُستثنى منه شيء البتة، وليس فيها ما هو حسن أصلاً، إذ لا حسن إلا ما حسَّنه الشرع، ولا قبيح إلا ما قبَّحه الشرع، فالعقل لا يُحسِّن ولا يقبِّح، وإنما يقول بتحسين العقل وتقبيحه أهل الضلال" (انظر فتاوى الإمام الشاطبي ص: ١٨٠، ١٨١).

وقال أيضًا في " الاعتصام " معترضًا على من قسم البدعة إلى أحكام الشرع الخمسة: "إن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي. قال: وهو- أي هذا التقسيم- في نفسه متدافع؛ فإن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي، لا من نصوص الشرع، ولا من قواعده؛ إذ لو كان هناك من الشرع ما يدل على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة، ولكان العمل داخلا في عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها، فالجمع بين كون تلك الأشياء بدعاً وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متناقضين" انتهى.

وبناءً على ذلك يتبين خطأ من قسم البدع إلى خمسة أقسام، وأنه ليس على صواب، لأننا نعلم علم اليقين أن أعلم الناس بشريعة الله هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه أنصح الخلق لعباد الله، وأنه أفصح الخلق وأبلغهم نطقاً صلى الله عليه وسلم، وأنه أصدق الخلق خبراً عن الله، وأنه خير معلم عليه الصلاة والسلام، فكيف يتسنى لأحد يأتي من بعده فيقول: البدعة ليست ضلالة، بل هي حسنة، وسيئة، أو هي: محرمة، ومباحة، ومكروهة، ومندوبة، وواجبة.

فليس كل خلاف جاء معتبراً
إلا خلاف له حظ من النظر

فالخير كل الخير في الاتباع والشر كل الشر في الابتداع، والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الشيطان يعدكم الفقر

قال تعالى: « ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ » (البقرة: ٢٦٨).

من دلائل النبوة

إبراؤه لعين علي رضي الله عنه

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسل إليه فأتى، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع» (صحيح البخاري).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

في شهر شعبان

عن عائشة رَضِيَ اللَّه عَنها قالت: «لم يكن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيه وَسَلَّم يصوم من شهر أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان كله. وفي رواية: كان يصوم شعبان إلا قليلاً. (متفق عليه).

من فضائل الصحابة

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيده بن الجراح، نعم الرجل أسيد بن حضير، نعم الرجل ثابت بن قيس.....». (رواه الترمذي).

من فضائل شهر شعبان

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «شعبان بين رجب وشهر رمضان، تغفل الناس عنه، تُرفع فيه أعمال العباد، فأحب أن لا يُرفع عملي إلا وأنا صائم». (صحيح الجامع للألباني).

حكم ومواعظ

عن همام بن يحيى قال: بكى عامر بن عبد الله في مرضه الذي مات فيه بكاءً شديداً، فقيل له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: آية في كتاب الله: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» (كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا).

إعداد/ علاء خضر

من جوامع الدعاء

عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم» (سنن النسائي).

خُلق حسن فالزمه

قال محمَّد بن الحنفيَّة- رحمه الله تعالى: «الكمال في ثلاثة: العفَة في الدَين، والصبر على النَوائب، والاقتصاد وحسن التَدبير في المعيشة» (أدب الدنيا والدين).

من حكمة الشعر

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه
فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها
حسدًا وظلمًا-: إنه لذميم

(عيون الأخبار)

خلق سيئ فاحذره

قال عليّ بن أبي طالب- رضي الله عنه-: «للمرائي ثلاث علامات، يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في النَاس، ويزيد في العمل إذا أُثني عليه، وينقص إذا ذُمَّ». (نضرة النعيم).

من أقوال السلف

العلم قبل الاعتقاد والعمل

قال الحسن البصري: «العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم لا تضروا بالعبادة واطلبوا العبادة طلبًا لا تضروا بالعلم».

(جامع بيان العلم).

من معاني الأحاديث

سبب: وفيه «كل سبب ونسب ينقطع إلا سببي ونسبي» النسب بالولادة والسبب بالزواج. وأصله من السبب، وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء، ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء، كقوله تعالى: «وتقطعت بهم الأسباب» أي: الوصل والمودات. (النهاية لابن الأثير).

أخطاء الآباء في تربية الأبناء

تنشئة الأولاد على الجبن والخوف والفزع

إعداد/ **جمال عبد الرحمن**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.. نتابع في هذا العدد الحديث عن أخطاء الآباء والأمهات والمعلمين والمربين في تربية الصغار، فنقول وبالله التوفيق:

سابعًا: تنشئة الأولاد على الجبن والخوف والفزع

تربية الأبناء مسئولية الآباء، ربما يهملها الآباء مستسهلين الإهمال فيها، ومستهينين به. ونظرًا لعدم ظهور آثار ذلك مبكرًا، فلا يشعرون بحجم خطره، فإذا جاء الموعد، وحان وقت القطاف؛ جاءت الثمرة مُرة حنظلية، فبدأ الآباء يشتكون؛ بل يصرخون مما آل إليه أمر أبنائهم، ناسين أو متناسين أنهم كانوا السبب الرئيس وراء تلك المرارة، قصدوا أو لم يقصدوا.

وكما أن الله سبحانه وتعالى أمر الوالدين بالعناية بتربية الأبناء وعدم التفريط فيهم بقوله جل وعلا: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ". التحريم/٦.

قال الطبري رحمه الله: (وقوله: (وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يَقُون به أنفسهم من النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وذكر قول عليَ بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) قال: علموهم، وأدّبوهم). (تفسير الطبري: ٢٣/٤٩١).

فكما أن الله سبحانه أمر بذلك؛ فقد حمّل النبي صلى الله عليه وسلم مسؤولية رعاية الأولاد للوالدين، فقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه صاحبه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّته، فَالْإِمَامُ الَّذي عَلَى النَّاس رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّته، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْل بَيْته وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعيَةٌ عَلَى مَال زَوْجِهَا، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَال سَيِّده وَمَسْئُولٌ عَنْهُ، ألا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ». متفق عليه.

بل بيّن النبيّ صلى الله عليه وسلم أن ما ينشأ عليه الأولاد من أخلاق وصفات، وطباع وعادات، إنما هو مما عَوَّده عليه الأبوان. فلينظر أحدنا على ما يُعَود عليه أولاده.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ رحمه الله: «يُصَلَّى عَلَى كُلِّ مَوْلُود مُتَوَفًّى، وَإِنْ كَانَ لِغَيَّة (ضالة)، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وُلِدَ

عَلَى فطْرَة الإسْلاَم، يَدَّعي أَبَوَاهُ الإسْلاَمَ، أَوْ أَبُوهُ خَاصَّةَ، وَإِنْ كَانَتْ أُمُّهُ عَلَى غَيْر الإسْلاَم، إذَا اسْتَهَلَّ صَارِخًا صُلِّيَ عَلَيْه، وَلاَ يُصَلَّى عَلَى مَنْ لاَ يَسْتَهِلُّ مِنْ أَجْل أَنَّهُ سقْطٌ» فَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ كَانَ يُحَدِّثُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَا منْ مَوْلُود إلاَّ يُولَدُ عَلَى الفطْرَة، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانه أَوْ يُنَصِّرَانه، أَوْ يُمَجِّسَانه، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحسُّونَ فيهَا منْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: «فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا» (الروم: ٣٠) الآيَةَ. صحيح البخاري ح/١٣٥٨.

وفي التعليق على الحديث (٢/٩٥): أي كل مولود يصلى عليه إذا كان أحد أبويه مسلمًا ظاهرًا، وإن كان مولودًا من كافرة أو زانية أو نحوهما. فهو مولود على (فطرة الإسلام) أي ملته وطريقته. كما (تنتج البهيمة) أي تلد الدابة العجماء، (بهيمة جمعاء) أي تامة الأعضاء مستوية الخلق. هل (تحسون) تبصرون، فيها من (جدعاء) مقطوعة الأذن أو الأنف أو غير ذلك؟

أي إن الناس يفعلون بها ذلك، فكذلك يفعلون بالمولود الذي يولد على الفطرة السليمة. (اقرؤوا إن شئتم) أن تتأكدوا هذا المعنى. قال تعالى: (فطرة الله)، أي ملة الإيمان والتوحيد ومعرفة الخالق سبحانه. (التي فطر الناس عليها) أي: خلقهم.

خطأ تنشئة الأولاد على الجبن والخوف والفزع:

من المشاهد والملاحَظ في حياتنا أن من الآباء والأمهات حينما يريد أن يسكت الطفل عن بكائه، أو يمنعه من التعلق بأبويه حين خروجهما، أو إثناء الطفل عن الاشتراك في رحلة أو أي شيء نحو هذا؛ فنجد الأبوين يخوفان الابن أو البنت بالعفريت مثلاً، أو بأي شيء اشتهر عند الجميع التخويف به والخوف منه ولو كان شيئًا غير حقيقي، كتخويفه بـ "أبو رِجْل مسلوخة"، أو "أم الغول"، أو "عفريت رَجُلٍ مقتول".

كما يخوفون الأولاد من الظلام، ومن العسكري، وغير ذلك.

قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: "الشَّجَاعَةُ وَالْجُبْنُ شيمَةٌ وخُلق في الرجال، فيقاتل الشجاع عن من لا يبالي أن لا يؤوب به إلى أَهْله، وَيَفرُّ الْجَبَانُ عَنْ أَبيه وَأُمِّه". الاستذكار (٥/١١٦).

إن هذه السلوكيات تغرس الخوف والجبن في الطفل غرسًا عميقًا، فيصير جبانًا خوافًا، مهزوم الشخصية، مهزول الرجولة، مهزوز السلوك.

وهذا لون من ألوان الجناية على الطفل كلما أراد أهله إسكاته ولو مؤقتًا؛ خوفوه بتلك المخوفات.

وثمة لون آخر من ألوان الجناية على الطفل؛ ويكون بزرع الجبن والخوف فيه، لكن هذه المرة عن طريق انفجار الأبوين عليه لأتفه الأسباب، فترى الوالدين إذا جُرح الطفل وكأنه ضُرب بالنار، وإذا تعثرت قدماه فسقط على الأرض فكأنما وقع من فوق عمارة أو جبل، وإذا اشتبك معه ابن الجار فكأنما حاربه جيش جرّار. فيبكي الولد فزعًا وفرقًا، وينشأ جبانًا يخاف من رؤية الدماء، ويجبن أمام الأعداء، ويصبح كل داء له داء، بدلاً من وقايته بالذِّكر والتعوذ والدعاء. وتعويده على أن يلوذ برب الأرض والسماء.

من الأذكار عند الأخطار:

عَنِ ابْنِ عَبَّاس، رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ لَمَّا أُسْرِيَ به مَرَّتْ رَائحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقَالَ: «يَا جبْريلُ مَا هَذه الرَّائحَةُ؟»، فَقَالَ: هَذه رَائحَةُ مَاشطَة ابْنَة فرْعَوْنَ وَأَوْلاَدهَا، كَانَتْ تُمَشِّطُهَا، فَوَقَعَ الْمُشْطُ منْ يَدهَا، فَقَالَتْ: بسْم اللَّه..". صحيح ابن حبان ح٢٩٠٣.

عَن ابْن أَبي نَجيح، قَالَ: وَقَى رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ طَلْحَةُ بيَده فَأُصيبَتْ إصْبَعُهُ فَقَالَ: حَسِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "لَوْ قَالَ: بسْم اللَّه لَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ". سنن سعيد بن منصور ح٢٨٥٢.

فَقَالَ: "حَسِّ": هيَ بكَسْر السِّين الْمُشَدَّدَة: كَلمَةٌ يَقُولُهَا الْإنْسَان إذَا أَصَابَهُ ما مَضَّه وَأَحرَقَهُ كالجمرة والضربة وَنَحْوهمَا. حاشية السيوطي على سنن النسائي (٦/٢٩).

وهذا يبين مشروعية التسمية عند رؤية الخطر سواء على الطفل أو غيره.

الفتى الشجاع:

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: (وقد يرزق الصغير الصبي ذهناً من صغره، فيتخير لنفسه، كما قال الله تعالى: «ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل» الآية، فذكر في التفسير: أنه كان ابن ثلاث سنين، فقال للكوكب والقمر والشمس ما قال، إلى أن قال: «إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين».

فإذا عبر الصبي الخمس سنين، بان فهمه ونشاطه في الخير، وحسن اختياره لنفسه، وصلف نفسه عن الدنايا، أو عكس ذلك.

مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على صبيان وهم يلعبون، فتفرقوا من هيبته، ولم يبرح ابن الزبير، فقال له: ما لك لم تبرح؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما الطريق ضيقة فأوسعها لك، ولا لي ذنب فأخافك.

وقال الرشيد لولد وزيره وهو في دارهم: أيهما أحسن، دارنا أو داركم؟

فقال: دارنا، قال: ولم؟ قال: لأنك فيها.

ويتبين فهم الصبي وعلو همته وقصرها باختياراته لنفسه، فإن الصبيان تجتمع للعب.

فيقول الصبي العالي الهمة: من يكون معي؟ ويقول القاصر الهمة: مع من أكون؟ ومتى فاقت الهمة، وعلت همة الصبي، آثر العلم). (مواسم العمر لابن الجوزي، ص: ٤٢).

مثل هؤلاء الشجعان من الأطفال؛ يقضي على شجاعتهم، ويطفئ جذوتها الأسلوب الخاطئ للأبوين في التربية، حينما يستخدمون أسلوب التخويف للأطفال لكفهم عما يريدون، أو للسيطرة عليهم عندما يجمحون.

ثمار التربية على الشجاعة:

١- علي بن أبي طالب الذي نام في فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة.

قَالَ ابنِ هشام: فَأَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: لَا تَبِتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ الَّذِي كُنْتَ تَبِيتُ عَلَيْهِ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ عَتَمَةٌ مِنْ اللَّيْلِ اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ يَرْصُدُونَهُ مَتَى يَنَامُ، فَيَثِبُونَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانَهُمْ، قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجَّ (يعني يتغطى) بِبُرْدِي هَذَا الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ، فَنَمْ فيه، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنَامُ فِي بُرْدِهِ ذَلِكَ إِذَا نَامَ. سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٢).

٢- أصغر قائد جيش (أسامة بن زيد)

قَالَ ابنِ كثيرٍ رحمه الله تعالى: وَقَدْ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ أَيَّامِ حَيَاتِه، وَكَانَ عُمُرُهُ إِذْ ذَاكَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ أَوْ تسعَ عشرَةَ، وَتوفى النبيِ صلى الله عليه وسلم وأسامة أميرٌ عَلَى جَيْشٍ كثيفٍ، مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَنْفَذَ أَبُو بَكْرٍ رضي اللَّه عنه جَيْشَ أُسَامَةَ بَعْدَ مُرَاجَعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى عَلَيْهِمْ وَيَقُولُ: وَاللَّه لَا أَحُلُّ رَايَةً عَقَدَهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَسَارُوا حَتَّى بَلَغُوا تُخُومَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ حَيْثُ قُتِلَ قبل ذلك أَبُوهُ زَيْدٌ وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ اللَّه بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ، فَأَغَارَ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ وَغَنِمَ وَسَبَى وَكَرَّ رَاجِعًا سالما مؤيدا. السيرة النبوية لابن كثير (٤/ ٦١٦)

٣- عبد الله بن الزبير وشجاعته وهو صغير مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وقد مرت فيما ذكره ابن الجوزي.

٤- "معاذ" و"معوذ" الغلامان الذين نالا شرف قتل "أبي جهل" رأس الكفر الذي طالما آذى الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه، فقال لهما: "أيكما قتله؟"، فقال كل منهما: "أنا قتلته" فقال لهما:" هل مسحتما سيفيكما؟" قالا: "لا" فنظر صلى الله عليه وسلم في السيفين وقال: "كلاكما قتله"!!! (صحيح البخاري ح٣١٤١).

٥- "أسماء بنت أبي بكر، ذات النطاقين" التي كانت تحمل الطعام والشراب للنبي صلى الله عليه وسلم وللصديق عند هجرتهما متحدية كبرياء قريش وغطرستها وجلافة أبي جهل.

قَالَتْ أسماء: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ (مهاجرَيْن) أَتَانَا نفر من قريش منهم أَبُو جَهْلٍ فَذَكَرَتْ ضَرْبَهُ لَهَا عَلَى خَدِّهَا لَطْمَةً طَرَحَ مِنْهَا قُرْطَهَا مِنْ أُذُنِهَا. البداية والنهاية (٣/ ١٨٩). والأمثلة كثيرة لا يسعها المقام؛ فإلى لقاء. نسأل الله عز وجل أن يرزقنا حسن تربية أبنائنا، وأن ينبتهم نباتًا حسنًا، وللحديث بقية إن شاء الله.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

من قرائن وأدلة السنة على حمل صفات الله الفعلية على ظاهرها دون ما تحريف ولا تعطيل، ودونما تكييف ولا تمثيل.. خلافاً للأشاعرة

الحلقة (٣٤)

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فقد سبق أن ذكرنا من آي القرآن ما يؤكد أن نوعَ صفات أفعاله سبحانه قديمةٌ، وثابتة له ودائمة بدوامه وباقية ببقائه، وأنه (كما كان بصفاته قبل خلقه أزليًا، كذلك لا يزال عليها أبديًا)..

وذكرنا ما به تُدحض مزاعم الأشاعرة القاضية: بأن "صفات الأفعال ليس شيء منها بقديم".

ومن ثم فهي لا تتجدد بمعنى أن الله لا يريد ولا يقدِّر منها شيئاً في المستقبل، وبأنه يلزم من ثبوتها - لكونها باعتقادهم حادثة -: "لزوم قيام الحوادث بذاته تعالى، ويلزم أيضاً كونه تعالى عارياً عنها في الأزل، كما يلزم افتقارها إلى مخصص وهو ما ينافي وجوب الغنى المطلق"، وبـ"أن لا يكون لغير الله فعل على وجه الإيجاد"، كذا قالوا - وتلك هي عبارات البيجوري في شرحه قول اللقاني: "كذا صفات ذاته قديمة".

وعلة إضافته (صفات) إلى (الذات) دون (الأفعال) - قاصدين بهذه الصفات القديمة وقاصرين إياها على "صفات المعاني السبع أو الثماني على الخلاف" بين الأشاعرة والماتريدية الذين أضافوا إلى (القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام) صفة (الإدراك)..

وذكرنا أن ما التزموه - ويريدون دوماً وبقوة الإرهاب الفكري والسلطان إلزام غيرهم به -: أفضى بهم إلى نفي جميع صفاته تعالى الفعلية والاختيارية، بل والخبرية أيضاً بحجة مماثلتها هي الأخرى للحوادث بعد أن أحدثوا ضمن صفاته تعالى وصف (مخالفة الحوادث)، ومن ثمَّ تعطيل وتحريف وتأويل مئات النصوص الواردة بشأنها ليبرروا به دخن باطلهم..

وأظهرنا قبل وجه هذا الدخن وذكرنا أن الصواب في ذلك يكمن في: ترك طريقة الفلاسفة والجهمية وتبني طريقة أهل السنة في إثبات كل ما وصف به تعالى نفسه ووصفه به رسوله، كما يكمن في وجوب ترك الألفاظ المجملة والموهمة التي تَحمل في ظاهرها معاني التنزيه والتقديس عن تلك الحوادث، وما هي في حقيقة الأمر من ذلك في شيء، لما يتضمنه إطلاق هذه الألفاظ من معاني الإلحاد وتكذيب الرسل والنصوص والطعن فيهما، ناهيك عن فتنة المسلمين بها إبان كل هذه القرون المتطاولة، وسقنا لذلك قول الحافظ الذهبي في السير ٢٠/٨٦ بوجوب "الكف عن إطلاق ما لم يأت فيه نص"، وأنه "لو فرض أن المعنى صحيحٌ؛ فليس لنا أن نتفوه بشيء لم يأذن به الله خوفاً من أن يدخل القلبَ شيءٌ من البدعة"..

أقول: بعد ذكرنا ما تيسر من أدلة القرآن على عدم صحة ما جنحوا إليه، نذكر ما تيسر من أحاديث السنة الصحيحة على رده وبطلانه وعدم صحته، ونتخيَّرُ من ذلك:

أ- حديث (أين الله) والجواب عنه بأنه (في السماء).. بين تعطيل وإنكار الأشاعرة وإثبات وإقرار أهل السنة:

قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الإمام مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي، قال: (كانت لي غنم بين أحد والجوانية - مكان شمال المدينة المنورة - فيها جارية لي فأطلعتها ذات يوم، فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة - وأنا رجل من بني آدم - فأسفت فصككتها، فأتيت النبي

صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فعظم ذلك عليّ فقلت: يا رسول لله أفلا أعتقها؟، قال: ادعُها فدعوتُها، فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: اعتقها فإنها مؤمنة)؟!.

وقد علق عليه أبو عثمان الصابوني ت٤٤٩ شيخ نيسابور في زمانه، فيما يُعَدُّ استنباطاً من هذا الحديث، فقال: "يَعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله فوق سبع سماواته على عرشه كما نطق به كتابُه، وعلماءُ الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا أن الله على عرشه، وعرشه فوق سماواته، وإمامنا الشافعي احتج في المبسوط في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة بخبر معاوية بن الحكم فقد سأل رسول الله عن إعتاق السوداء، فامتحنها ليعرف أهي مؤمنة أم لا، وقال لها: (أين ربك؟)، فأشارت إلى السماء، فقال لمعاوية: (اعتقها فإنها مؤمنة)، حيث حكم بإيمانها لما أقرت بأن ربها في السماء، وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية"..

كما علق الحافظ الذهبي ت ٧٤٨ في أول كتابه (العلو) يقول: "هكذا رأينا كل من يسأل: (أين الله؟)، يبادر بفطرته ويقول: (في السماء)، ففي الخبر مسألتان: إحداهما: شرعية وهي قول المسلم: (أين الله؟)، وثانيهما: قول المسئول: (في السماء)، فمن أنكر هاتين المسألتين، فإنما ينكر على المصطفى صلى الله عليه وسلم".

وهنا يأتي السؤال المحيِّر بحق: هل بعد ذلك الوضوح في جواز السؤال عن (أين الله)، وفي الجواب عنه بأنه (في السماء) من وضوح؟، وأين يقع ذلك من جواب بعض علمائنا المعاصرين ممن تصدروا الفتوى، وقوله بالحرف: "ما ورد في الكتاب والسنة من النصوص الدالة على علو الله على خلقه، المراد بها: علو المكانة والشرف والهيمنة والقهر؛ لأنه تعالى منزه عن مشابهة المخلوقين، وليست صفاته كصفاتهم، وليس في صفة الخالق سبحانه ما يتعلق بصفة المخلوق من النقص، بل له جل وعلا من الصفات كمالها ومن الأسماء حسناها".

فنفى بذلك فوقيته وعلوه جل في علاه على الرغم من الآيات والأحاديث التي جاءت بشأنهما، وعَدَّ ذلك من مماثلة الحوادث، ولم يكتف بذا حتى نفى عنه صفة الفوقية، وأنها من صفاته العلا، نعوذ بالله من الخذلان.. ثم قال هداه الله وإيانا: "فإذا سألَنا إنسان: أين الله؟.. نخبره بأنه لا ينبغي له أن يتطرق ذهنه إلى التفكير في ذات الله بما يقتضي الهيئة والصورة؛ فهذا خطر كبير يفضي إلى تشبيه الله بخلقه، ونخبره بأنه يجب علينا أن نتفكر في دلائل قدرته"، فجعل جوابه بواد غير ذي زرع من سؤال السائل، بعد أن أوهم أو توهم من السؤال مشابهة الخالق بالمخلوق.

واسترسل يقول: "أما عن السؤال عن الله بـ (أين) كمسألة عقائدية: فيؤمن المسلمون بأن الله واجب الوجود، ومعنى كونه واجب الوجود: أنه لا يجوز عليه العدم، فلا يقبل العدم لا أزلا ولا أبداً، وأن وجوده ذاتي ليس لعلة، بمعنى أن الغير ليس مؤثراً في وجوده تعالى، فلا يُعقل أن يُؤثر في وجوده وصفاته الزمان والمكان، فإن قصد بهذا السؤال طلب معرفة الجهة والمكان لذات الله، والذي تقتضى إجابته إثبات الجهة والمكان لله، فلا يليق بالله أن يُسأل عنه بـ (أين) بهذا المعنى؛ لأن الجهة والمكان من الأشياء النسبية الحادثة، بمعنى أننا حتى نصف شيئاً بجهة معينة يقتضي أن تكون هذه الجهة بالنسبة إلى شيء آخر، فإذا قلنا مثلا: السماء في جهة الفوق، فستكون جهة الفوقية بالنسبة للبشر، وجهة السفل بالنسبة للسماء التي تعلوها وهكذا.

وما دام أن الجهة نسبية وحادثة فهي لا تليق بالله، وعلى ذلك: فلو قال مسلم: (الله في السماء) فإنه يُحمل قوله على معنى: أن الله له صفة العلو المطلق في المكانة على خلقه؛ لأن الله تعالى منزه عن الحلول في الأماكن، فهو بكل شيء محيط، ولا يحيط به شيء، والقول بأن الله تعالى في السماء، معناه: علوه على خلقه لا أنه حالٌّ فيها، أما من يعتقد أن الله في السماء بمعنى أنها تحيط به إحاطة الظرف بالمظروف فهذا أمر لا يجوز اعتقاده، ويجب تعليمه حينئذ الصواب من الخطأ في ذلك وكشف الشبهة العالقة بذهنه".

فلم يفهم فضيلته من الجهة والمكان والزمان إلا

ما يكون للحوادث والمخلوقات مما يُتبادر إلى أذهان العوام، وأطلق المجمل ولم يفصل فعطل وحرَّف بعد أن كيَّف ومثَّل وأوَّل، وهو لو قرأ مقدمة (مختصر العلو) لأدرك الصواب.

والمهم أنه خلص - بعد كلام كثير وذكر لحديث الجارية وأن سؤالها كان لمجرد امتحانها لمعرفة ما إذا كانت موحدة أم عابدة وثن - إلى أنه: "لا يجوز وصفُ الله بالحوادث، فلا يوصف بأنه فوق شيء أو في جهة، على معنى المكانية والجهة"، كذا دون أن يجيبنا عمن لا يعتقد حلوله تعالى بالحوادث ولا شبَّه ولا كيَّف ولا مثَّل، هل يجوز له أن يَسأل (أين الله؟)، وبم نجيبه؟، وكيف نجابه أولادنا بمثل هذا إن هم سألونا نفس السؤال؟، وإذا كان هذا جوابهم عن الفوقية، فما يكون جوابهم عن (الاستواء) و(النزول) و(المجيء).. إلخ؟، وهل بالفعل لن يكون سوى بالتعطيل وانتهاك حرمات النصوص؟.

وإلى أن يتم الجواب، نسوق لرد ما جاء في كلام الشيخ وللمقارنة بين ما هو حق وصواب وصحيح وما هو على غير ذلك، كلامَ الذهبي في تمهيده لنفس الحديث، عله يكون فاتحة خير لحل معضلات الأشاعرة، فقد قال - رحمه الله - بعد أن ذكر في مقدمة كتابه (العلو) العديد من نصوص القرآن الناطقة بعلوه تعالى، ما نصه: "فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف، فقف مع نصوص القرآن والسنن، ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات، وما حكَوه من مذاهب السلف، فإما أن تنطق بعلم وإما أن تسكت بحلم، ودع المراء والجدل..

وسترى أقوال الأئمة في ذلك على طبقاتهم بعد سرد الأحاديث النبوية، جمعَ الله قلوبنا على التقوى وجنبنا المراء والهوى، فإننا على أصل صحيح وعقد متين من أن الله لا مثل له، وأن إيماننا بما ثبت من نعوته كإيماننا بذاته المقدسة، إذ الصفات تابعة للموصوف، فكما نعقل وجود الباري ونُنزِّه ذاته المقدسة عن الأشياء من غير أن نتعقل الماهية، فكذلك القول في صفاته، نؤمن بها ونعقل وجودها، ونعلمها في الجملة من غير أن نتعقلها، أو نشبهها، أو نكيفها، أو نمثلها بصفات خلقه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً، فالاستواء كما قال مالك وجماعة: معلوم والكيف مجهول". اهـ.

ثم جعل الذهبي يسوق لذلك ما يقارب المائة دليل من السنة وصحيح ما ورد عن الصحابة على علوه تعالى بذاته وفوقيته واستوائه على عرشه، ثم أوصلها إلى ثلاثمائة وخمسين بعد ذكره آثار التابعين ومن تبعهم بإحسان.

ب- وابن قدامة المقدسي على درب المثبتين يؤلف في علوه تعالى واستوائه على عرشه:

وبمثل ذلك ومن قبله، فعل ابن قدامة المقدسي ت٦٢٠ في كتابه (صفة العلو لله الواحد القهار)، وقد صدره بقوله: "أما بعد: فإن الله وصف نفسه بالعلو في السماء، ووصفه بذلك رسوله محمد خاتم الأنبياء، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة من الفقهاء، وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين، وجمع الله عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزاً في طباع الخلق أجمعين، فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم، ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرج من ربهم، وينطقون بذلك بألسنتهم، لا يُنكر ذلك إلا مبتدعٌ غالٍ في بدعته، أو مفتون بتقليد أتباعه على ضلالته، وأنا ذاكر في هذا الجزء بعض ما بلغني من الأخبار في ذلك عن رسول الله وصحابته والأئمة المقتدين بسنته على وجهٍ يحصل به القطع واليقين بصحة ذلك عنهم، ويُعلم تواتر الرواية بوجوه منهم، ليزداد من وقف عليه من المؤمنين إيماناً وينتبه من خفي عليه ذلك، حتى يصير كالشاهد له عياناً، ويصير للمتمسك بالسنة حجة وبرهاناً". اهـ.

ومما ساقاه - رحمهما الله - في إثبات علوه تعالى واستوائه على عرشه وجواز القول بـ (أنه في السماء) - من غير الآي - قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث ابن عمرو: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)، وفي رواية للطبري من حديث جابر ورواته ثقات، بلفظ: (مَن لم يرحم مَن في الأرض، لم يرحمه مَن في السماء).. وحديث أنس وفيه أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي وتقول -

والحديث في البخاري ومسلم -: (زوَّجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات)، وفي لفظ كانت تقول: (إن الله أنكحني في السماء).. وقوله عليه السلام في المتفق عليه من حديث أبي سعيد بشأن اعتراض معترض على قسمته في عطية جاءته من اليمن: (ألا تأمنوني وأنا أمين مَن في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً).. وقوله فيما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة: (والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجُها).. وقوله لما حكم سعد بن معاذ في بني قريظة بأن تُقتل مقاتلتهم وتُسبى ذريتهم وتُغنم أموالهم: (لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات) والحديث في الصحيحين..

وقوله فيما أخرجه أحمد والحاكم في مستدركه وقال هو على شرط البخاري ومسلم: (إن الميّت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرُجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى يُنتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل.. الحديث).. وقوله - كما في الترمذي - للحصين أبي عمران يعرض عليه الإسلام: (يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً؟، قال: سبعة، ستة في الأرض وواحداً في السماء، قال: فأيهم تعبد لرغبتك ورهبتك؟، قال: الذي في السماء).. ولسنا هنا بصدد استقصاء ما ورد بهذا الشأن فذلك في مظانه التي ذكرنا بعضها، وإنما فقط أردنا الجواب على السؤال بـ(أين الله؟)، وإقرار النبي السؤال والجواب دون ما إنكار، ورد ما جاء في الفتوى من شبهات، والتنبيه على تحقق ذلك دون ما تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، ولا تجسيم ولا مماسة ولا محاذاة.

جـ: قد تبين الرشد من الغي فهل من مشمر من الأشاعرة للرجوع إلى الحق؟!

وبالمقارنة تجد أن ما فاه به ابن قدامة والذهبي هو المتناغم مع صحيح السنة والمنسجم مع الفطرة والمتفق مع فهم الصحابة وإجماع تابعيهم، فقد صح في الأثر أن ابن عمر مر براع فقال: (هل من شاة؟)، فقال: (ليس ها هنا ربُّها)، قال ابن عمر: (تقول له: أكلها الذئب)، فرفع رأسه إلى السماء وقال: (فأين الله؟)، فقال ابن عمر: (أنا والله أحق أن يقول: أين الله؟)، واشترى الراعي والغنم فأعتقه وأعطاه الغنم.. فما تحريم جملة فاه بها الرسول الأعظم ونطق بها صحابته الأجلاء وتابعيهم بإحسان، وأقـرُّوا الجواب عنها بعبارة (في السماء)؛ ومن قبل ذلك أقروا بلا تعطيل ولا تأويل ما جاء في قوله تعالى: (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ .. الأعراف/٥٤)، (ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ .. الملك/١٦، ١٧)، وقوله: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ .. فاطر/١٠)، (يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ .. السجدة/٥)، وقوله: (تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ .. المعارج/٤)، (بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ .. النساء/١٥٨)، (وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ .. الأنعام/١٨)، (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ .. النحل/٥٠)، وقوله لعيسى: (إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ .. آل عمران/٥٥)، وقوله على لسان فرعون: (يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا.. غافر/٣٦، ٣٧)، يعني أظن موسى كاذباً في أن الله إلهه في السماء، وكلها آيات ذكرها ابن قدامة - ومن بعده الذهبي - لإثبات علوه تعالى وفوقيته، وأتْبع الأخيرة منها بقوله: "والمخالف في هذه المسألة يزعم أن موسى كاذب في هذا بطريق القطع واليقين، مع مخالفته لرب العالمين، وتخطئته لنبيه الصادق الأمين، وتركه منهج الصحابة والتابعين، والأئمة السابقين، وسائر الخلق أجمعين، نسأل الله تعالى أن يعصمنا من البدع برحمته، ويوفقنا لاتباع سنته".

أقـول: ما تحريم الأشاعرة لقوله: (إنه تعالى في السماء) جواباً عن (أين الله؟)، ومخالفتهم الرسول وصحابته ومن تبعهم، وما تعديهم على ما تيسر ذكره من نصوص وأضعاف أضعافها، وتلاعبهم بها وتأويلهم لها وإخراجهم إياها عن ظاهرها، وما تجاهلهم لمئات الأخبار التي تضافرت على ذكرها كتبُ القوم؛ ومن أهمها: (العلو) للذهبي و(العلو) لابن قدامة و(اجتماع الجيوش) لابن القيم.. إلا بشؤم التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل والتأويل.

فإلى الله المشتكى.. وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث، والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية
من القصص الواهية

قصة الغرانيق

الحلقة (٢٠٢)

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت، وانتشرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولا: أسباب تحقيق هذه القصة:

إن كثيرًا من العلمانيين يتخذون من قصة الغرانيق وسيلة للطعن في الإسلام، خاصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، حين يزعم المستشرقون وبعض الملاحدة أن النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم بما يرضي المشركين جذبًا لهم إليه، لأن هؤلاء الزنادقة بزعمهم الباطل أنه لم يكن صادقًا، وأن الشيطان أفسد عليه الوحي.

إن هذه القصة ذكرها المفسرون عند قوله تعالى: « وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (الحج: ٥٢-٥٤).

ثانيا: المتن:

روي عن ابن عباس قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة فقرأ سورة النجم، حتى انتهى إلى: « أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ » (النجم: ٢٠)، جرى على لسانه: تلك الغرانيق العلى، الشفاعة منها ترتجى، قال: فسمع ذلك مشركو أهل مكة فسُروا بذلك فاشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: التخريج والتحقيق:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة مسندًا أخرجه البزار في مسنده (١١/ ٢٩٦) (ح٥٠٩٦)، قال: حدثنا يوسف بن حماد، قال: حدثنا أمية بن خالد، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بمكة.. القصة.

علة هذا الخبر:

ثم قال البزار مبينًا علة هذا الخبر: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل عنه يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد، ولا نعلم أحدًا أسند هذا الحديث عن شعبة عن أبي بشر، عن سعيد، عن ابن عباس إلا أمية، ولم نسمعه إلا من يوسف بن حماد.

ثم قال: وغير أمية يحدِّث به، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير مرسلاً، وإنما هذا الحديث يُعرف عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. اهـ.

وهذا ما بينه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٦) فقال: «وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن أبي عباس، ومن طريق أبي بكر الهذلي وأيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه، ومن طريق سليمان التيمي عمن حدَّثه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وهو بمكة... القصة. اهـ.

قلتُ: فيتبين من ذلك ثلاثة طرق عن ابن عباس:

١- **الطريق الأول:** فيها الكلبي:

ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» (٥٥٦/٣- ترجمة ٧٥٧٤): محمد بن السائب الكلبي أبو النضر الكوفي المفسِّر النسابة الإخباري، ثم قال: قال سفيان: قال الكلبي، قال لي أبو صالح: انظر كل شيء رويت عني عن ابن عباس، فلا تروه.

قال الثوري: اتقوا الكلبي، وقيل له: فإنك تروي عنه. قال: أنا أعرف صدقه من كذبه.

قال البخاري: أبو النضر الكلبي تركه يحيى وابن مهدي.

قال ابن عدي: وقد حدث عن الكلبي سفيان، وشعبة، وجماعة، ورضوه في التفسير. وأما في الحديث فعنده مناكير، وخاصة إذا روى عن أبي صالح، عن ابن عباس.

وقال ابن حبان: كان الكلبي سبائيًا من أولئك الذين يقولون إن عليًا لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا ويملؤها عدلاً كما مُلئت جورًا، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها.

وقال الحسن بن يحيى الرازي الحافظ: حدثنا علي بن المديني، حدثنا بشر بن المفضل، عن أبي عوانة، سمعت الكلبي يقول: كان جبرائيل يملي الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما دخل صلى الله عليه وسلم الخلاء جعل يملي على عليّ.

وقال أحمد بن زهير: قلت لأحمد بن حنبل: يحل النظر في تفسير الكلبي؟ قال: لا، ابن معين قال الكلبي: ليس بثقة.

وقال الجوزجاني وغيره: كذاب.

وقال الدارقطني وجماعة: متروك.

وقال ابن حبان: مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه، يروي عن أبي صالح، عن ابن عباس في التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع الكلبي من أبي صالح، إلا الحرف بعد الحرف، فلما احتيج إليه أخرجت له الأرض أفلاذ كبدها، لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به.

الطريق الثاني: وهو طريق أبو بكر الهذلي وأيوب عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه، وهذا الطريق ضعيف أيضًا، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٣٩/٨) بعد أن ساق الطرق الثلاثة: وكلها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع. اهـ.

الطريق الثالث: وهو طريق سليمان التيمي عمن حدثه، عن ابن عباس رضي الله عنه، وفيه راوٍ لم يسمَّ، فالحديث مبهَم.

قال البيقوني في بيقونته:

ومبهم ما فيه راوٍ لم يُسم

طريق رابع: ولهذا الحديث طريق رابع أخرجه الطبراني (٦٦٦/١٨) قال: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي قال: ثني عمي، قال أبي عن أبيه عن ابن عباس.. القصة. اهـ.

قلتُ: وهذا سند تالف مسلسل بالعوفيين، فمحمد هو ابن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن جنادة أبو جعفر العوفي. قاله الذهبي في «الميزان» (٥٦٠/٣/ت٧٥٨٣). اهـ.

وقال الخطيب: كان لينًا في الحديث، وهذا أيضًا في «تاريخ بغداد» (٣٢٢/٥). اهـ.

ووالده سعد بن محمد بن الحسن، قال الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢٦/٩، ١٢٧)، روى عن أحمد أنه قال فيه: لم يكن ممن يستأهل أن يُكتب عنه ولا كان موضعًا لذلك. اهـ.

وعمه هو الحسين بن الحسن بن عطية العوفي. قاله في «الميزان» (٥٣٢/١/ت ١٩٩١)، ثم نقل أقوال الأئمة فيه، فقال: ضعَّفه يحيى بن معين وغيره، وقال ابن حبان يروي أشياء لا يتابع عليها، لا يجوز الاحتجاج بخبره. وقال النسائي: ضعيف. اهـ.

وأبوه الحسن بن عطية بن سعيد العوفي، قال ابن حبان في المجروحين (٢٣٤/١) (٢٠٨) من أهل الكوفة يروي عن أبيه، روى عنه ابنه محمد بن الحسن؛ منكر الحديث، فلا أدري البلية في أحاديثه منه أو من أبيه أو منهما معًا؛ لأن أباه ليس بشيء في الحديث، وأكثر روايته عن أبيه، فمن هنا اشتبه أمره ووجب تركه. اهـ.

قلتُ: وبهذا يتبين أن كل الطرق المتصلة لابن عباس واهية، وهذه الطرق فيها من الكذابين

والمتروكين والمبهمين ما يزيد بعضها بعضًا وهنًا على وهن.

ومن العجب أن بعض من لا دراية له بالصناعة الحديثية يستخدم قاعدة ليست على إطلاقها، وهي تقوية الحديث بكثرة الطرق، ولقد بيَّن الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٤٠)، حيث نقل قول أبي عمرو ابن الصلاح: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا؛ لأن الضعف يتفاوت؛ فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا؛ كرواية الكذابين والمتروكين. اهـ.

قلتُ: وهذا ينطبق تمام الانطباق على حديث القصة الذي بين أيدينا، فإن طرقه كلها يزيد بعضها بعضًا وهنًا على وهن.

رابعًا: أسماء بعض الأئمة الذين ضعّفوا هذا الحديث في كتبهم:

١- أبو بكر ابن العربي (ت٥٤٢هـ) في «تفسير أحكام القرآن».
٢- القاضي عياض (ت٥٤٤هـ) في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى».
٣- فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره «مفاتيح الغيب».
٤- القرطبي في «أحكام القرآن».
٥- الكرماني (ت٨٦٦هـ).
٦- العيني (ت٨٨٥هـ) في «عمدة القاري».
٧- الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) في «فتح القدير».
٨- الألوسي (ت١٢٧٠هـ) في «روح المعاني».
٩- صديق حسن خان أبو الطيب (ت١٣٠٧هـ) في تفسيره «فتح البيان».

ولقد ذكر الإمام أبو بكر بن العربي في تفسيره «أحكام القرآن» (٣/٣٠٥) عشر مقامات في إبطال هذه القصة «قصة الغرانيق»، ولقد بيَّن في المقام الخامس: أن قول الشيطان تلك الغرانقة العلا وإن شفاعتها ترتجى للنبي صلى الله عليه وسلم، قبِلَه مِنه، فالتبس عليه الشيطان بالملك، واختلط عليه التوحيد بالكفر حتى لم يفرِّق بينهما.

وأنا في أدنى المؤمنين منزلة وأقلهم معرفة بما وفقني الله له وأتاني من علمه، لا يخفى عليَّ وعليكم أن هذا كفر لا يجوز وروده من عند الله، ولو قاله أحد لكم لتبادر الكل إليه قبل التفكير بالإنكار والردع والتثريب والتشنيع فضلاً عن أن يجهل النبي صلى الله عليه وسلم حال القول ويخفى عليه قوله. ولا يتفطن لصفة الأصنام، بأنها الغرانقة العلا، وأن شفاعتها ترتجى.

وقد عُلم علمًا ضروريًّا أنها جمادات لا تسمع ولا تبصر ولا تنطق ولا تضر ولا تنفع ولا تنصر ولا تشفع، بهذا كان يأتيه جبريل الصباح والمساء، وعليه انبنى التوحيد، ولا يجوز نسخه من جهة المعقول، ولا من جهة المنقول، فكيف يخفي هذا على الرسول؟ ثم لم يكف هذا حتى قالوا: إن جبريل لما عاد إليه بعد ذلك ليعارضه فيما ألقي إليه الوحي كررها عليه جاهلاً بها، تعالى الله عن ذلك. فحينئذ أنكرها عليه جبريل، وقال له: «ما جئتك بهذه»، فحزن النبي صلى الله عليه وسلم لذلك، وأنزل عليه: « وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا » (الإسراء:٧٣)، فيا لله والمتعلمين والعالمين من شيخ فاسد وسوس هامد لا يعلم أن هذه الآية نافية لما زعموا، مبطلة لما رووا وتقوّلوا. اهـ.

وقال الشوكاني في فتح القدير (٣/٥٤٦): «ولم يصح شيء من هذا ولا ثبت بوجهٍ من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه.. ثم ذكر بعض الآيات الدالة على البطلان.. ثم قال: وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة». اهـ.

وننبِّه في هذا المقام أن العلاَّمة الألباني رحمه الله له رسالة في أكثر من ثماني مائة سطر، نقل فيها أقوال الأئمة في بطلان هذه القصة تحت عنوان: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

من دروس تحويل القبلة

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله، وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

فحادثة تحويل قبلة الصلاة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، بغض النظر عن تاريخ هذا التحويل؛ إذ تعددت أقوال العلماء في تاريخ تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، وأرجح الأقوال أنه كان في نصف شهر رجب من السنة الثانية للهجرة على الصحيح، وبه قال الجمهور، كما نصَّ عليه الحافظ ابن حجر في الفتح.

وفي هذا المقال نحاول تدبر بعض فوائد هذا الحدث الجليل، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إن تحويل القبلة نعمة كبيرة أخبرنا الله تعالى عنها في خواتيم الآيات التي تحدثت عن تحويل القبلة في سورة البقرة فقال: «وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (البقرة: ١٥٠).

وإن اليهود ليحسدوننا على تحويل القبلة، فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهُمْ – اليهود- لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ" مسند أحمد (٢٥٠٢٩) وصححه شعيب الأرناءوط.

وعن أبي إسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ: «صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفْنَا نَحْوَ الْكَعْبَةِ» رواه البخاري (٤٤٩٢) ومسلم (٥٢٥).

- وفي تحويل القبلة دروس وعظات كثيرة نحاول أن نتعرف على بعض منها فيما يلي:

أولا: الاستعداد النفسي للمحن يخفف من شدتها:

من المعلوم أن الاستعداد النفسي لتقبل المحن والابتلاءات له أهمية كبيرة في التخفيف من شدتها، وهذا منهج رباني فيه الرحمة بخلقه فقبل أن ينزل الله تعالى البلاء والشدائد أخبرنا بأنها ستقع في وقت ما حسب مشيئته وحده، وعلمنا الله تعالى كيف نخرج من هذه المصائب والابتلاءات ونحن أكثر طاعة لله تعالى وثباتًا

وأعظم ثوابًا، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها: محنة تحويل القبلة: فجهز الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين نفسيًا وعلميًا لاستقبالها، ومن ذلك:

١- قال تعالى: «سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ...» (البقرة: ١٤٢).

ومهّد الله تعالى لتحويل القبلة وأبان السبب، ظهور اضطرابات عند التحويل حتى لا يُفاجأ المسلمون بشيء من حملات التشويش والنقد والتشكيك، فأوضح تعالى أن سفهاء الأحلام وضعفاء العقول والإيمان من طوائف اليهود والمشركين والمنافقين سيقولون مُنكرين مُتعجبين: أي شيء صرف المسلمين عن قبلتهم التي كانوا عليها، وهي قبلة الأنبياء والمرسلين؟ أما اليهود فساءهم ترك الاتّجاه لقبلتهم، وأما المشركون فقصدوا الطعن في الدين ورأوا ألا داعي للتوجه في الحالين، وأما المنافقون: فشأنهم انتهاز الفرص لزرع الشكوك في الدين، ومحاولة الإبعاد عنه بسبب هذا التغيير وعدم الاستقرار، ومخالفة الأعراف السابقة بالاتّجاه لبيت المقدس. (التفسير المنير للزحيلي: ٢/٧).

* * *

الكعبة هي القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها.

* * *

٢- وهذا إخبار بما سيقوله السفهاء من المنافقين واليهود والمشركين قبل أن يقوله، وفائدته أولاً: تقرير النبوة المحمدية؛ إذ هذا إخبار بالغيب فكان كما أخبر، وثانياً: توطين نفس الرسول صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ والمؤمنين به حتى لا يضرهم عند سماعه من السفهاء؛ لأن مفاجأة المكروه أليمة شديدة، فإن ذهبت المفاجأة هان الأمر، وخف الألم. (أيسر التفاسير: ١/١٢٤).

٣- الرد على السفهاء بالجواب المسكت: قال تعالى: «سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (البقرة: ١٤٢).

المعنى: عندما يسألك السفهاء يا رسول الله عن سبب تحويل القبلة فقل لهم: إن الجهات كلها لله، فلا فضل لجهة على أخرى، فلله أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة منها ويجعلها قبلة، وعلى العبد أن يمتثل أمر ربه.

ثانيا: الأمة المحمدية هي أفضل الأمم لأنها الأمة الوسط:

قال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...» (البقرة: ١٤٣).

١- قوله تعالى: (جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) أي: عدلاً خيارًا، وما عدا الوسط فأطراف داخلة تحت الخطر فجعل الله هذه الأمة وسطا في كل أمور الدين، وسطا في الأنبياء ووسطا في الشريعة، فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها، ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا «أُمَّةً وَسَطًا». (تفسير السعدي: ١/٧٠).

- قال تعالى: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ...» (آل عمران: ١١٠)، هذه الآية تدلنا على مؤهلات الوسطية والأفضلية.

٢- (شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس) بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول فهو مقبول، وما شهدت له بالرد، فهو مردود. (تفسير السعدي: ١/٧٠).

أ- تشهدون على الناس في الدنيا: عن أَنَس بْن مَالِك رَضِيَ الله عَنْهُ، قال: "مَرُّوا بِجَنَازَةٍ،

فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْه خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْه شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّه فِي الأَرْضِ» رواه البخاري (١٣٦٧) ومسلم (٩٤٩).

(فأثنوا عليه خيرًا) وصفوها بفعل الخير. (فأثنوا عليها شرا) وصفوها بفعل الشر. (شهداء الله في الأرض) أي يقبل قولكم في حق من تشهدون له أو عليه.

كان تحويل القبلة امتحانا وابتلاءً للمؤمنين.

٣- وتشهدون على الأمم السابقة يوم القيامة، ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم، أنه إذا كان يوم القيامة، وسأل الله المرسلين عن تبليغهم، والأمم المكذبة عن ذلك، وأنكروا أن الأنبياء بلّغتهم، استشهدت الأنبياء بهذه الأمة، وزكاها نبيها. (تفسير السعدي: ١/ ٧٠).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: " يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَة، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لأُمَّته: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: «وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ» (البقرة: ١٤٣) فَذَلكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ» (البقرة: ١٤٣) " صحيح البخاري (٤٤٨٦).

ثالثا: تحويل القبلة امتحان وابتلاء للمؤمنين:

قال تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ» (البقرة: ١٤٣).

١- قوله تعالى: (وَما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ) أي إنما شرعنا لك يا محمد التوجّه أولا إلى بيت المقدس، ثم صرفناك عنها إلى الكعبة، ليظهر حال من يتبعك ويُطيعك ويستقبل معك حيث توجهت، ممن ينقلب على عقبيه، أي فيتبين الثابت على إيمانه ممن لا ثبات له، فهو امتحان وابتلاء ليظهر ما علمناه، ويجازى كل إنسان على عمله. (المنير للزحيلي: ٢/ ٠١).

٢- (وَإِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّه) أي وكانت القبلة المحوّلة شاقة ثقيلة على من ألف التوجه إلى القبلة الأولى، فإن الإنسان ألوف لما يتعوده ويثقل عليه الانتقال منه، إلا على الذين هداهم الله بمعرفة أحكام دينه وسر تشريعه، فعلموا أن التعبد باستقبالها إنما يكون بطاعة الله بها. (تفسير المراغي: ٢/ ٧).

رابعا: إنَّ اللَّه بالنَّاس لرءوفٌ رحيمٌ:

قال تعالى: (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (البقرة: ١٤٣).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ "لَمَّا وُجِّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِلَى الكَعْبَة قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه كَيْفَ بِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى: «وَمَا كَانَ اللَّه لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ» صححه الألباني.

طمأنهم تعالى على أجور صلاتهم التي صلوها إلى بيت المقدس لا يُضيعها لهم بل يجزيهم بها كاملة سواء من مات منهم وهو يصلي إلى بيت المقدس أو من حي حتى صلى إلى الكعبة، وهذا مظهر من مظاهر رأفته تعالى بعباده ورحمته. (أيسر التفاسير: ١/ ١٢٦).

خامسا: أهمية اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء:

- قال تعالى: «قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ».

من دروس تحويل القبلة: سرعة الاستجابة لأمر اللّه تعالى.

(البقرة: ١٤٤).

- كَانَ صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يُكْثِرُ الدعاءَ والابتهالَ أنْ يُوَجِّه إلَى الكَعْبَة، التي هِيَ قِبْلَةُ إبْرَاهِيمَ، عَلَيْه السَّلاَمُ،- كَانَ صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يُكْثِرُ الدعاءَ والابتهالَ فأُجِيبَ إلَى ذَلِكَ. (تفسير ابن كثير: ١/٤٥٣).

- ونتعلم الدرس هنا أن نطلب من الله وحده ونلجأ إليه سبحانه في كل الأزمات والصعوبات والملك الرحيم هو الذي دعانا لذلك فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾ (غافر: ٦٠).

- هذا من لطفه بعباده، ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه، دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم. (تفسير السعدي: ١/٢٤٠).

سادسًا: سرعة الاستجابة لله وللرسول:

١- قال تعالى: « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » (الأنفال: ٢٤).

٢- عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللّهِ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ صَلَّى إلَى بَيْت المَقْدس سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْت وَأَنَّهُ صَلَّى، أوْ صَلاَّهَا، صَلاَةَ العَصْر وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ» فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أهْل المَسْجد وَهُمْ رَاكِعُونَ، قَالَ: أَشْهَدُ بِاللّه، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ البَيْت. رواه البخاري (٤٤٨٦) ومسلم (٥٢٥).

لاحظ معي سرعة الاستجابة فتحول الإمام إلى الكعبة وهو راكع عندما سمع الخبر، فتحولوا معه وهم ركوع ولم ينتظروا حتى يعتدلوا من الركوع.

٣- عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْت المَقْدس»، فَنَزَلَتْ: « قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ » (البقرة: ١٤٤) فَمَرَّ رَجُلٌ منْ بَنِي سَلَمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ في صَلاَة الْفَجْر، وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً، فَنَادَى: ألاَ إنَّ الْقبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ، فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَة. صحيح مسلم (٥٢٧).

- جاء خبر تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة متأخرًا وهم يصلون الفجر وقد صلوا ركعة فتحولوا إلى الكعبة في الركعة الثانية وهم يصلون.

سابعًا: وحدة الأمة على قبلة واحدة:

- قال تعالى: «وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» من كل اتجاه، في أنحاء الأرض جميعاً.. قبلة واحدة تجمع هذه الأمة وتوحِّد بينها على اختلاف مواطنها، واختلاف مواقعها من هذه القبلة، واختلاف أجناسها وألسنتها وألوانها.. قبلة واحدة، تتجه إليها الأمة الواحدة في مشارق الأرض ومغاربها. فتحس أنها جسم واحد، وكيان واحد، تتجه إلى هدف واحد، وتسعى لتحقيق منهج واحد. منهج ينبثق من كونها جميعاً تعبد إلهاً واحداً، وتؤمن برسول واحد، وتتجه إلى قبلة واحدة. وهكذا وحدَّ الله هذه الأمة. وحَّدها في إلهها ورسولها ودينها وقبلتها. وحَّدها على اختلاف المواطن والأجناس والألوان واللغات. ولم يجعل وحدتها تقوم على قاعدة من هذه القواعد كلها ولكن تقوم على عقيدتها وقبلتها ولو تفرقت في مواطنها وأجناسها وألوانها ولغاتها.. إنها الوحدة التي تليق ببني الإنسان فالإنسان يجتمع على عقيدة القلب، وقبلة العبادة.

نسأل الله الهداية والتوفيق، والحمد لله رب العالمين.

إدارة الغضب بين التقييم والتقويم

الحلقة الأولى

إعداد/ **د. ياسر لمعي عبدالمنعم**

أستاذ الإدارة والتنمية البشرية المساعد
بجامعة التضامن الفرنسية العربية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد، خلق الله الإنسان وفيه العديد من الغرائز والأحاسيس ليأنس ويُؤنس، ويتفاعل مع من حوله، يتأثر بهم فيضحك ويبكي، ويفرح ويحزن، ويرضى ويغضب إلى آخر هذه الانفعالات والأحاسيس، ولكل هذه الانفعالات والأحاسيس ضوابط شرعية، فالمؤانسة والاختلاط لها ضوابط وأحكام، والضحك والبكاء له أحكام تتغير بتغير الزمان والمكان، كذلك الفرح والحزن والرضا، ثم الغضب منه المحمود والمذموم.

شريعتنا الغراء لم تدع شيئاً في هذه الحياة الدنيا إلا وأرشدتنا إلى كيفية التعامل معه، والاستفادة القصوى من منافعه، واجتناب أضراره والبعد عنها، كالغضب مثلاً الذي منه المحمود والمذموم، ومذمومه يعود على النفس والمجتمع بالدمار والهلاك بتفكك نسيج الأسرة الواحدة جراء ضرر هذا الأمر، وقد أخبرنا الشارع الحكيم من خلال الكتاب والسنة بالحلول النافعة التي لو اتبعناها ما غضبنا، أو على أقل تقدير أحسنا إدارة غضبنا انطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار» أخرجه ابن ماجه (٢٣٤١).

ألستم معي أننا في حالة الغضب يتحول كل شيء حولنا من كبير إلى صغير، ومن قوي إلى ضعيف، تتغير الدنيا، يتوقف العقل عن التفكير إلا في الانتقام أو تفريغ طاقة الشر. الجوارح تتحرك بكل قوتها في فورة عارمة، وثورة جارفة، وطاقة جامحة، الغضب عاصفة تأخذ في طريقها كل شيء، لا تُبقي ولا تذر.

حالة الغضب هيجان قوة مفرطة كيف توقفها؟ بل كيف تحسن إدارتها؟

إن الغضب غريزة فطرية تعتري الجميع لا مفر منه، ولا مناص منه، لكن كيف تُقيمهُ على مقياس الشرع.. ثم تقوِّمهُ بضوابط الدين؟ وكيف تتحكم فيه وتحسن إدارته؟

لذا كانت هذه المقالات أخذتها من كتابي (إدارة الغضب بين التقييم والتقويم) ستكون بين أيديكم مقالات شهرية، بينت فيه الغضب وطبيعته، وأنواعه، ودرجاته، وأسبابه، وطرق وخطوات إدارته، وعلاجه، مسترشداً بكتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأقوال وأفعال السلف الصالح ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

الغضب:

الغضب كارثة على الصحة البشرية، وهو من أكثر المشاعر السلبية التي تصيب الإنسان عند شعوره بعدم الرضا من أمر ما، أو عند الانزعاج من أحد المواقف، وهو نقيض الرضا، ويرافق الغضب تهيج واحمرار في الوجه مع البكاء أو الرغبة فيه في معظم الأحيان - عند النساء- وعندما يغضب الإنسان يثور كالبراكين ويُفقده الغضب القدرة

على التحمل والتفكير.

الغضب لغة: غَضِبَ يَغْضَبُ غَضَباً، قال ابن فارس: (الغين، والضاد، والباء، أصل صحيح يدل على شدة وقوة) (معجم مقاييس اللغة- ابن فارس ٢/٢١٩).

من الألفاظ المترادفة للفظة غضب: (حرد، وتلظّى، واغتاظ، وترغم، واستشاط، وتضرَّم، وحنق، وأسف، ونقم، وسخط، ووجد، وأحفظ، وأضمر. (الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى- أبو الحسن الرماني ٧٧).

الغضب اصطلاحا:

كما عرف الجرجاني الغضب بأنه: «تغير يحصل عند غليان دم القلب ليحصل عنه التشفي للصدر» (التعريفات- الجرجاني ٢٠٩).

وعرفه الراغب بأنه: «ثوران القلب إرادة الانتقام» (مفردات ألفاظ القرآن- الراغب الأصفهاني ٢٧٤).

وعرفه الغزالي: «غليان دم القلب بطلب الانتقام» (إحياء علوم الدين- الغزالي ٣/٢٢٢).

الفرق بين الغضب والسخط:

الغَضَب يكون من الصغير على الكبير، كما يكون من الكبير على الصغير.

بينما السخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير، يقال: سخط الأمير على الحاجب، ولا يقال: سخط الحاجب على الأمير، ويستعمل الغَضَب فيهما.

والسخط إذا عديته بنفسه فهو خلاف الرضا، يقال: رضيه وسخطه، وإذا عديته بعلى فهو بمعنى الغَضَب، تقول: سخط الله عليه إذا أراد العقاب. (الفروق اللغوية- أبو هلال العسكري، ٢٨٦).

الفرق بين الغَضَب والغيظ: (أنَّ الإنسان يجوز أن يغتاظ من نفسه، ولا يجوز أن يغضب عليها؛ ذلك أنَّ الغَضَب إرادة الضرر للمغضوب عليه، ولا يجوز أن يريد الإنسان الضرر لنفسه، والغيظ يقرب من باب الغم. (المرجع السابق ٢٩١).

- الفرق بين الغَضَب والاشتياط: (أنَّ الاشتياط خفَّة تلحق الإنسان عند الغَضَب، وهو في الغَضَب كالطَّرب في الفرح، وقد يستعمل الطرب في الخفَّة التي تعتري من الحزن، والاشتياط لا يستعمل إلا في الغَضَب، ويجوز أن يقال: الاشتياط سرعة الغَضَب. (المرجع السابق ٥٤).

ويميل الفرد أثناء الغضب إلى العدوان، وقد ينغمس فيه بحسب الدرجة والموقف المتأزم عبر صور عديدة، منها:

١- إيماءات جسدية، كتعابير الوجه، وحركة اليد الدالة على السخط.

٢- تعابير لفظيَة، كتوجيه النقد الجارح، والإهانات، والهزء والسخرية، وما شابه ذلك.

٣- الاعتداء المباشر، والإيذاء الجسدي، وتهشيم الممتلكات.

٤- وعند عجز الفرد عن توجيه العدوان إلى مصدر خارجيٍّ، هو موضوع غضبه، يرتدُّ على الذَات، وقد يتحوّل إلى غضب مكبوت وأحقاد. (علاج الغضب- عبد القادر أبو طالب بتصرف).

٥- وغاية الغضب عمومًا تكمن في الانتقام وردّ العدوان إلى مبدئه بعد وقوعه، أو دفعه قبل حصوله، ويتفاوت الناس في التعبير عن الغضب بين الشدَة والضعف والاعتدال، بحسب أعمارهم، وأجناسهم، وشخصياتهم، وقيمهم، ومعتقداتهم، وبيئاتهم التي يعيشون فيها ويتفاعلون معها، ودرجة نضجهم العاطفي والاجتماعي، وطبيعة الموقف اللازم والدوافع التي تقف خلفه.

وعليه نخلص إلى أن الغضب حالةٌ نفسيةٌ انفعالية تصيب الإنسان، ويؤدي الغضب بصاحبه إلى الثوران والانفعال، وعدم القدرة على التحكم في أقواله وأفعاله غالباً.

إن الغضبان أول ما يجني على نفسه فتقبح صورته، وتتشنج أعصابه، ويفحش كلامه، ويزيد في الصخب واللجاج، وانتفاخ الأوداج، فيدفعه الغضب إلى الظلم والانتقام، وقل أن تراه إلا شعلة من نار تأكل بعضها بعضاً، كالغيظ وهو الغضب الكامن للعاجز، الذي هو أشدُّ من الغضب، وإن كان أوله، قال الله تعالى: « تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ » (الملك: ٨)؛ أي من شدَّة الحرّ. وقوله تعالى: « إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا » (الفرقان: ١٢).

الخلاصة: الغضب هو جماع الشر، والتحرز منه وإدارته هو الخير كله.

هذا ما تيسر ذكره في الباب، والله أسأل أن يحفظكم بحفظه، وأن يبارك فيكم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، نلتقي الشهر القادم إن شاء الله مع طبيعة الغضب.

هذا، وصَلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أغلبية مسلمة تتحول إلى أقلية في اليونان

الحمد لله حمد الشاكرين، وبعد:

فقد عرفت اليونان الإسلام منذ وقت مبكر، في النصف الأول من القرن الهجري الأول، وذلك عندما فتح المسلمون بعض الجزر اليونانية مثل جزيرة «رودس»، وجزيرة «كريت» في عام ٢١٠ هجرية، ثم انتشر الإسلام في أغلب الجزر اليونانية، وقد تأصل الإسلام بوجوده في اليونان منذ الفتح الإسلامي لشبه جزيرة البلقان، إذ تم فتح مقدونيا في عام ٧٨٢هـ- ١٣٨٠م، وامتدت مسيرة الإسلام إلى وسط اليونان، وخضع اليونان للحكم الإسلامي لعدة قرون، تأسست خلالها حضارة إسلامية راقية، وشُيِّدت مئات المساجد ودور التعليم والمكتبات الإسلامية، وظلت اليونان مقصدًا للعلماء وطلاب العلم، وتزايدت أعداد المسلمين حتى بلغت أكثر من ٦٠٪ من إجمالي عدد السكان حتى عام ١٩١٣م، واليوم نطوف بإيجاز ونحن مازلنا في أوروبا الغربية نتناول أحوال المسلمين في اليونان منذ أن دخلها الإسلام لكي لا ينسى المسلمون إخوانهم في تلك البلدان، ولكي يتعرفوا على أحوالهم حتى لا يكونوا في طي النسيان، والله المستعان.

إعداد/ **جمال سعد حاتم**
رئيس التحرير

مسلمو اليونان بين القوة والضعف

فتح المسلمون بعض الجزر اليونانية في عهد الأمويين، منها جزيرة «رودس»، ثم فتح الأندلسيون جزيرة «كريت» في سنة (٢١٢هـ - ٨٢٧م)، غير أن الوصول الفعلي للإسلام بدأ مع سيطرة الأتراك العثمانيين على اليونان، فلقد فتح السلطان مراد الأول مقدونيا في سنة (٧٨٢هـ - ١٣٨٠م)، ثم فتح السلطان بايزيد الأول «تساليا» بعد ذلك، ثم استولى الأتراك على وسط اليونان وشبه جزيرة «المورة»، ثم جزيرة «رودس»، وكذلك جزيرة «كريت»، وخضع اليونانيون لحكم الأتراك لعدة قرون، وهاجر إليها العديد من الأتراك والبلغار والمسلمين، واعتنق الإسلام بعض اليونانيين.

وبعد استقلال اليونان وعقد معاهدة لوزان طرد اليونانيون المسلمين الألبان، حتى وصل عدد المسلمين المهاجرين ١,٢٠٠,٠٠٠ نسمة، وتعرض الباقون إلى الاضطهاد، ونتيجة لتبادل السكان بين تركيا واليونان قل عدد المسلمين باليونان، وكانوا في سنة (١٣٣٩هـ- ١٩٢٠م) ١,٣٠٠,٠٠٠ نسمة، أي أكثر من ربع سكان اليونان، وانخفض العدد بعد ذلك انخفاضا كبيرًا، ويقدر عددهم بحوالي ٢٥٠ ألف نسمة حاليًا.

فهل كانت المقاصة البشرية التي تمت بين اليونان وتركيا هي السبب المباشر وراء هذا التراجع الواضح في عدد المسلمين باليونان، وهل تهتم الأقلية المسلمة في اليونان بالحفاظ على المكاسب التي حققها أسلافهم؟ وهل تستطيع الأقلية المسلمة اليونانية حماية هذا الكم الوفير من الآثار

الإسلامية النادرة المتوفرة في اليونان أمام أعداد المسلمين الذين تم تهجيرهم إلى تركيا من اليونان والذي يعادل ربع سكان اليونان وقت التهجير منذ ثمانين عامًا، مع ما تمثله الأقلية الإسلامية من صحوة إسلامية في السنوات الأخيرة؟

اليونان بين الماضي والحاضر

دولة صغيرة المساحة، تنتمي إلى القسم الجنوبي الشرقي من أوروبا، وتقع ضمن بلدان شبه جزيرة البلقان، وتبلغ مساحة اليونان ١٩٤ ,١٠٧كم٢، وتوجد ضمن بلدان الحوض الشرقي للبحر المتوسط، في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة البلقان، تحدها تركيا من الشمال الشرقي، وبلغاريا ويوغسلافيا من الشمال، وألبانيا من الشمال الغربي، يحيط بها البحر المتوسط من الجنوب والغرب، وبحر إيجة من الشرق.

ويعيش نصف سكانها على الاقتصاد الزراعي والرعوي، والنصف الآخر موزع بين الحرف البحرية والسياحة والصناعة والحرف الأخرى، ويعيش في منطقة أثينا وبيريه أكثر من ربع سكان اليونان، ويعيش بين اليونانيين أقليات تركية وألبانية وبلغارية، ويشكلون أغلب الأقلية المسلمة باليونان.

المساجد والمراكز الإسلامية في اليونان

كانت اليونان تضم عددًا كبيرًا من المساجد أيام الحكم العثماني، انخفض عددها إلى ٣٠٠ مسجد، ولقد هُدم العديد من تلك المساجد بسبب التقادم وعدم الصيانة، وتوجد معظم تلك المساجد بمقاطعة تراقيا الغربية، ففي مدينة كوموتيني عاصمة تراقيا الغربية ١٤ مسجدًا، وفي رودس ٥ مساجد، وهناك العديد من المساجد في تلك المقاطعة، وعدد آخر من المساجد في مقاطعة إيبروس في الغرب، وفي جزر بحر إيجة وفي مقدونيا وأثينا.

وتنتشر المدارس الإسلامية في مقاطعة تراقيا الغربية، فهناك أكثر من ٢٠٠ مدرسة، وهي ليست مدارس إسلامية صرفة، وإنما يُعلَّم بها الدين الإسلامي من خلال ساعات معينة في الأسبوع، وهناك ٥ مدارس التعليم فيها باللغة التركية وبحروف عربية، ومدرستان متوسطتان، وثانويتان، وكذلك توجد مدرستان إسلاميتان لتخريج الأئمة وهما المدرسة الرشادية، والمدرسة الخيرية، وتوجد عدة مدارس أسبوعية يُعلَّم فيها الدين الإسلامي لمدة ساعتين في الأسبوع.

وتعاني المدارس الإسلامية من شدة القيود عليها، ومن العجز المالي بسبب انخفاض دخول المسلمين، كما تعاني من العجز في هيئة التدريس، وتعاني المناطق الأخرى كـ«رودس» ومعظم جزر بحر إيجة ومقدونيا من نقص التعليم الإسلامي.

ولا يتوفر لمسلمي العاصمة أثينا البالغ عددهم ١٥٠ ألف نسمة أيّ مسجد، وهي العاصمة الأوروبية الوحيدة التي لا يوجد بها مسجد للمسلمين هناك.

ويوجد في أثينا قرابة ١٣٠ مكانًا للصلاة هي عبارة عن مساجد متنقلة في المحلات التجارية، والأدوار السفلى ومواقف السيارات داخل البنايات، ومعظمها أماكن ضيقة بلا تهوية، أو مجرد غرف في مخازن تقام فيها الشعائر للمسلمين!!

وتنتشر دور العبادة غير الرسمية هذه داخل وحول منطقة وسط المدينة، لكنها تتوارى عن أعين المجتمع والمارة، كما تعتبر تأدية صلوات الجمع والأعياد والجنائز من أكبر المشكلات التي يواجهها مسلمو أثينا حيث ينزل الآلاف إلى شوارع المدينة للبحث عن مكان مناسب لإقامة صلاة الجماعة، وهو مشهد يخشون أن يثير استياء المجتمع.

ضغوطات تواجه المسلمين في اليونان

ويعد من أكثر مشكلات الأقلية الإسلامية في اليونان هي المعاناة من نقص الهيئات والمنظمات الإسلامية، وكثرة الضغوط عليهم لإجبارهم على الهجرة، وتمنعهم من بيع أراضيهم للمسلمين هناك، ولا تسمح بالبيع إلا لليونانيين، كما تحرم عليهم زيادة مساكنهم إلا لطابق واحد، وتمنعهم من بناء المساجد واستخدام الوسائل العصرية في الإنتاج ليظلوا متخلفين، ولهذا يعيشون في أوضاع اقتصادية متدهورة، ويعاملون معاملة المواطنين من الدرجة الثانية.

اللهم احفظ الإسلام والمسلمين في كل مكان، آمين يا رب العالمين.

الفكر الإسلامي

إعداد/ **د. أحمد منصور سبالك**

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

وقفنا في مقالتنا السابقة عند سؤال هو مصب الحديث عن الفكر، ألا وهو: هل يسوغ أن يكون الوحي مجالاً للفكر؟!

أو بصيغة أخرى: هل الوحي يقبل التفكير فيه من ناحية القبول والرفض؟

وهذا السؤال بمثابة واقع أليم مُعايش الآن؟ وللأسف يزعمون أنهم أصحاب فكر.. وإسلامي أيضًا!!

إنه لما كان الوحي الشريف قرآنًا وسنة، مصداقًا لقوله تعالى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (النحل:٤٤)، فالحديث عن الوحي حديث عن القرآن والسنة، وبما أن حديث أهل الفكر إياه عن القرآن هو نفس كلام أهل الاستشراق، وأصل حديثنا مُنصبٌّ على الفكر الإسلامي، على حد تسميته لنفسه أو تسمية الآخرين له، فسينصب كلامنا على السنة النبوية وموقف أولئك المفكرين منها.

لا سيما وأن هناك جملة من المغالطات والجهالات التي زعموا أنها من الشُبَه التي تُثار ضد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المطهرة، وليس ذلك فحسب، بل تمتد بهم الضلالات حتى يزعموا أن هذه الشُبَه هي في ذات الوقت أدلة قاطعة على وجوب ترك السنة، وإهمالها والانصراف عنها، وعدم اعتبارها مصدرًا للتشريع، ويزيدون الأمر بقولهم: نقتصر على القرآن الكريم مصدرًا وحيدًا للتشريع الإسلامي، وهو كافٍ في بيان قضايا الدين وأحكامه الشرعية.

وهذه هي شبهتهم الأولى في رد السنة والطعن عليها.

هل يسوغ أن يكون الوحي مجالاً للفكر؟!

وسنتناول الكلام على هذه الشبهة حتى نعلم مدى الفكر المسمى بـ«الإسلامي»، فإن القول بهذه الشبهة يدل على جهل بالقرآن، وعدم فهم لآياته، بل يدل على سوء قَصد لدى القائلين بها؛ لأنهم طعنوا في السنة مستدلين بآيات من القرآن مثل قوله تعالى: «مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ» (الأنعام:٣٨)، وقوله تعالى: «مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (يوسف:١١١)، وكذلك استدلوا بالآيات التي وصف الله سبحانه وتعالى القرآن فيها بأنه «مبين»، كقوله تعالى: «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ» (يس:٦٩).

ووجه استدلالهم بتلك الآيات أن القرآن لم يُفرِّط في شيء، ولم يدع أمرًا من أمور الدين أو حكمًا من أحكام الشرع يحتاج إليه الناس إلا وقد ذكره في القرآن، فالقرآن اشتمل على تفصيل كل شيء كما في ختام سورة يوسف، وما كان ذلك كذلك إلا لأن القرآن مبين.

كل هذا يقطع الطريق على من يقول- على حد زعمهم- أن القرآن في حاجة لمصدر آخر معه في التشريع، فلا مجال لقول القائل: السنة تبيِّن القرآن وتفصِّل ما أجمل فيه، فالسنة لا محل لها من التشريع، ولا حاجة إليها في بيان أو تفصيل أو توضيح القرآن الكريم.

ولهذا قلت: إن هذا الكلام جهل محض بالقرآن وعدم فهم لآياته، وما دل إلا على سوء قصد القائلين به؛ لأن الأمة أجمعت على أن القرآن قد اشتمل على قضايا الدين، وأصول الأحكام الشرعية، أما تفاصيل الشريعة وجزئياتها فقد فصَّل بعضها، وأجمل غالبها، وإنما جاء الإجمال في القرآن بناءً على حكمة الله عز وجل والتي اقتضت أن تقوم السنة النبوية بتفصيل ذلك المجمل وبيانه.

حكمة الله عز وجل اقتضت أن تقوم السنة النبوية بتفصيل مجمل القرآن.

وهذا هو ما قام عليه واقع الإسلام، وأجمعت عليه الأمة، ولنحتكم إلى العبادات التي أجملها القرآن حين تحدث عنها (صلاة، وصيام، وزكاة، وحج)، فأين نجد في القرآن هذا التفصيل الذي نقوم به في أداء هذه العبادات إلا في السنة على لسان رسولنا صلى الله عليه وسلم؟ كما في حديث البخاري: «صلوا كما رأيتموني أصلي»؟ وحديث حجة الوداع: «خذوا عني مناسككم»... إلخ.

والعجيب أننا نجد هؤلاء الذين أثاروا هذه الشبهة ضربوا بآياتٍ كثيرة عرض الحائط، وهي الآيات التي تحثُّ على الالتزام بالسنة ووجوب اتباعها، كقوله تعالى: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ» (آل عمران:٣١)، وقوله: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟» (الحشر:٧)، وقوله: «فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (النور:٦٣)، وقوله: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا» (الأحزاب:٣٦).

فادعوا في الآيات ما لا تحتمل، وظهر فساد تأويلهم لها، حتى الآيات التي استدلوا بها فواضح عند المفسرين فساد معتقدهم فيها، وبأنهم حمَّلوا الآيات ما لا تحتمل، ورجحوا في معناها الوجهات الخطأ التي أرادوها هم، وليس التي تنطق بها الآيات.

فمن البدهيات التي يعلمها القاصي والداني: أن القرآن يفسِّر بعضه بعضًا، وأن آياته إنما يُفهم بعضها في إطار البعض الآخر، وأن تفسير بعض الآيات بعيدًا عن بقيةِ الكتاب الكريم قد يكون خطأً يؤدي إلى محظور خطير في تفسير القرآن، وهو ضرب القرآن بعضه ببعض، ثم فصل الآيات التي يستدلون بها على فساد قولهم عن باقي آيات القرآن، ثم تحميلها ما لا تحتمل لتأكيد ما يذهبون إليه زورًا وبهتانًا.

فالقرآن الكريم جاء مجملاً في كثيرٍ من جوانبه وأحكامه، ومفصلاً في جوانب أخرى، وقد جاءت السنة فبينت المجمل ومفصله، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (النحل:٤٤).

هدانا الله وإياهم إلى الحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وإلى لقاء آخر مع شبهة أخرى حول سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتفنيدها والرد عليها.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

فضائل الصيام في القرآن والسنة

إعداد/ **المستشار أحمد السيد علي إبراهيم**
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

محمد صلى الله عليه وسلم
الحلقة الأولى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد:

الصيام ركن من أركان الإسلام، له أهدافه العظيمة وحكمه الجليلة، والإكثار من الصيام في شهر شعبان سنة نبوية، وفي هذا العدد نتعرف عن بعض فضائل الصيام، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

فضائل الصيام:

١- الصيام ركن من أركان الإسلام:

عن عبدالله بن عمر: «بني الإسلامُ على خمس: شهادة أن لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وإقَامِ الصلاةَ، وإيتاءِ الزكاة، والحجِّ، وصومِ رمضانَ» (رواه البخاري).

وعن عبدالله بن عمر: «بُنِيَ الإسلامُ على خمْسٍ: شهادةُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله، وأنَّ مُحمدًا رسولُ اللَّه، وإقامُ الصَّلاةِ، وإيتاءُ الزكاة، وحَجُّ البيْتِ، وصوْمُ رَمَضانَ» (أورده السيوطي في الجامع الصغير وصححه الألباني).

٢- الله الموفق للصيام:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يومَ الخندقِ ينقل معنا الترابَ وهو يقولُ: والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا. فأنزلَن سكينةً عليناوثبتِ الأقدامَ إن لاقينا. والمشركون قد بغوْا عليناإذا أرادوا فتنةً أبينا». (رواه البخاري).

٣- الصيام لله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله: كلُ عملِ ابن آدمَ لهُ إلا الصيامَ، فإنَّه لي وأنا أُجْزي بهِ». (رواه البخاري).

وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى (الصيام لي وأنا أجزي به) مع أن الأعمال كلها له وهو الذي يجزي بها على أقوال؛ أحدها: أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره.

ثانيها: أن المراد بقوله (وأنا أجزي به) أني أنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته.

وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس.

ثالثها: معنى قوله (الصوم لي) أي أنه أحب العبادات إليَّ والمقدم عندي.

رابعها: الإضافة إضافة تشريف وتعظيم كما يقال بيت الله وإن كانت البيوت كلها لله.

خامسها: أن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب - جل جلاله - فلما تقرب الصائم إليه بما يوافق صفاته أضافه إليه.

سادسها: أن المعنى كذلك، لكن بالنسبة إلى الملائكة؛ لأن ذلك من صفاتهم.

سابعها: أنه خالص لله، وليس للعبد فيه حظ.

ثامنها: سبب الإضافة إلى الله أن الصيام لم يعبد به غير الله، بخلاف الصلاة والصدقة والطواف ونحو ذلك.

تاسعها: أن جميع العبادات توفى منها مظالم العباد إلا الصيام.

عاشرها: أن الصوم لا يظهر فتكتبه الحفظة كما تكتب سائر الأعمال. وأقرب الأجوبة التي ذكرتها

إلى الصواب الأول والثاني، ويقرب منهما الثامن والتاسع». اهـ. مختصرًا من «فتح الباري» للحافظ ابن حجر.

٤- الصائمون هم السائحون:

قال تعالى «التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» (التوبة: ١١٢).

قالت عائشة رضي الله عنها: سياحة هذه الأمة الصيام. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما ذكر الله في القرآن السياحة: هم الصائمون.

٥- الصيام وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام» (رواه البخاري).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «أوصاني حبيبي صلى الله عليه وسلم بثلاث لن أدعهن ما عشتُ: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام حتى أوتر» (رواه مسلم).

٦- أحب الصيام إلى الله عز وجل:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً» (رواه البخاري ومسلم).

٧- الصيام جنة:

عن أبي هريرة: « قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: كلُّ عمل ابن آدمَ له إلاَّ الصِّيامُ. فإنَّه لي وأنا أجْزي به. والصِّيام جُنَّةٌ. فإذا كانَ يومُ صوْم أحدكُم فلَا يَرفُثْ يومئذ ولا يَسخَبْ. فإن سابَّهُ أحدٌ أو قاتلَهُ، فليقل: إنِّي امرؤٌ صائمٌ. والَّذي نفسُ محمَّد بيده. لخُلوفُ فم الصَّائم أطيبُ عند اللَّه، يومَ القيامَة، من ريح المِسك.

٨- الصيام يكفر المعاصي:

عن أبي قتادة: «صومُ يوم عرفَةَ يُكفِّرُ سنتيْن، ماضية ومُستقبَلة، وصومُ عاشوراءَ يُكفِّرُ سنَةً ماضِيةً» (أورده السيوطي في الجامع الصغير وصححه الألباني)

وعنه أيضا: «صِيامُ يوم عرفةَ إنِّي أحتسِب على الله أنْ يُكَفِّرَ السَّنةَ التي بعدَه، والسَّنةَ التي قَبلَه» (أورده المنذري في الترغيب والترهيب وصححه الألباني).

٩- الصيام علاج للحقد والغيظ والوسواس:

عن النمر بن تولب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يذهبه كثير من وَحَرَ صدره فليصم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر» (رواه أحمد وصححه الألباني) وقوله وحر صدره أي: الحقد والغيظ والوساوس والغش.

١٠- الصيام أطيب من ريح المسك:

عن الحارث بن الحارث الأشعري رضي الله عنه قال: « إنَّ الله أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعملَ بهن، ويأمرَ بني إسرائيلَ أن يعمَلوا بهنَّ. فكأنه أبطأ بهنَّ، فأتاه عيسى فقال: إنَّ الله أمرك بخمس كلماتٍ أن تعمل بهنَّ، وتأمر بني إسرائيلَ أن يعملوا بهنَّ، فإما أن تخبرَهم، وإما أن أخبرَهم. فقال: يا أخي! لا تفعلْ، فإني أخاف إن سبقتَني بهنَّ أن يُخسَفَ بي أو أعذَّبَ. قال: فجمع بني إسرائيل ببيت المقدس حتى امتلأ المسجدُ، وقعدوا على الشُرُفات، ثم خطبهم فقال: إنَّ الله أوحى إليَّ بخمس كلمات أن أعملَ بهنَّ، وآمُر بني إسرائيلَ أن يعملوا بهنَّ: أولهنَّ (أن) لا تشركوا بالله شيئًا، فإنَّ مثل من أشرك بالله كمثل رجلٍ اشترى عبدًا من خالص ماله بذهبٍ أو وَرِق، ثم أسكنه دارًا فقال: اعملْ وارفَعْ إليَّ. فجعل يعمل ويرفعُ إلى غير سيِّده! فأيُّكم يرضى أن يكونَ عبدُه كذلك؛ فإنَّ الله خلقكم ورزقَكم، فلا تُشركوا به شيئًا. وإذا قمتُم إلى الصلاة فلا تلتفتوا، فإنَّ الله يقبلُ بوجهه إلى وجه عبده ما لم يلتفتْ. وأمركم بالصيام، ومثلُ ذلك كمثلِ رجلٍ في عصابةٍ معه صُرَّةٌ من مسك، كلهم يُحبُّ أن يجدَ ريحَها، وإنَّ الصيامَ أطيبُ عند الله من ريح المسك. وأمركم بالصدقة، ومثلُ ذلك كمثل رجلٍ أسرَه العدوُّ، فأوثقوا يدَه إلى عُنُقه، وقرَّبوه ليضربوا عُنُقَه، فجعل يقول: هل لكم أن أفدي نفسي منكم، وجعل يعطي القليلَ والكثيرَ حتى فدى نفسَه. وأمَركم بذكر الله كثيرًا، ومثل ذلك كمثل رجلٍ طلبه العدوُّ سراعًا في أثره، حتى أتى حصنًا حصينًا، فأحرز نفسَه فيه، وكذلك العبدُ لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله. الحديث». (أورده المنذري وصححه

الألباني).

١١- خلوف فم الصائم أطيب من ريح المسك:

عن أبي هريرة: «قالَ الله عزَّ وجلَّ: كلُّ عَملِ ابنِ آدمَ لَهُ إلاَّ الصِّيامَ هوَ لي وأنا أجزي بِه، الصِّيامُ جُنَّةٌ، فإذا كانَ يومُ صومِ أحدِكم فلا يَرفُثْ، ولا يصخَبْ، فإن شاتمَهُ أحدٌ أو قاتلَهُ، فليقل: إنِّي امرؤٌ صائمٌ. والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه، لخلوفُ فمِ الصَّائمِ أطيَبُ عندَ اللهِ من ريحِ المسكِ» (رواه النَّسائي وصَحَّحه الألباني).

١٢- للصائم فرحتان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال الله عزَّ وجلَّ: كلُّ عملِ ابن آدمَ له إلاَّ الصِّيامُ. فإنَّه لي وأنا أجْزي به. والصِّيام جُنَّةٌ. فإذا كانَ يومُ صوْمِ أحدِكُم فلا يَرفُثْ يومئذٍ ولا يَسخَبْ. فإن سابَّهُ أحدٌ أو قاتلَهُ، فليقلْ: إنِّي امرؤٌ صائمٌ. والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه. لخُلوفُ فمِ الصَّائمِ أطيبُ عند اللهِ، يومَ القيامَةِ، من ريحِ المسك. وللصَّائم فرحتانِ يفرَحهُما: إذا أفطرَ فرِحَ بفطرِه. وإذا لقيَ ربَّهُ فرِحَ بصوْمِه» (رواه مسلم).

١٣- الصيام لا عدل، ولا مثل له:

عن أبي أمامة الباهلي: «قلتُ يا رسولَ اللهِ مرْني بعملٍ قال عليك بالصَّومِ فإنَّه لا عَدْلَ له قلتُ يا رسولَ اللهِ مرْني بعملٍ قال عليك بالصَّوم فإنَّه لا عَدْلَ له قلتُ يا رسولَ اللهِ مرْني بعملٍ قال عليك بالصَّومِ فإنَّه لا مثلَ له» (أورده المنذري في الترغيب والترهيب وقال عنه الألباني إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما).

قال الإمام السندي رحمه الله في «حاشيته على سنن النسائي»: «فإنه لا مثل له في كسر الشهوة، ودفع النفس الأمارة والشيطان، أو لا مثل له في كثرة الثواب...، ويحتمل أن يكون المراد بالصوم كف النفس عما لا يليق، وهو التقوى كلها، وقد قال الله تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)» اهـ.

١٤- الصائم من الصديقين والشهداء:

عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: «جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ، فقال: يا رسولُ الله أرأيتَ إن شهدتُ أن لا إله إلا الله، وأنك رسولُ الله، وصلَّيتُ الصلواتِ الخمس، وأدَّيتُ الزكاةَ، وصمتُ رمضانَ، وقُمتُه، فممَّن أنا؟ قال: من الصِّدِّيقين والشُّهداء» (أورده المنذري في الترغيب والترهيب وصححه الألباني).

١٥- الساعي على الأرملة والمسكين كصائم النهار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: «السَّاعي على الأرملة والمسكين، كالمُجاهد في سبيل الله، أو القائم الليلَ والصائم النَّهارَ» (رواه البخاري).

١٦- عظم أجر الصيام:

عن أبي الدرداء: «ما من شيءٍ يُوضَعُ في الميزانِ أثْقلُ من حُسْنِ الخُلُقِ، وإنَّ صاحبَ حُسنِ الخُلُقِ ليَبلُغُ به درَجةَ صاحبِ الصَّومِ والصلاةِ» (أورده السيوطي في الجامع الصغير وصححه الألباني).

١٧- تشبيه المجاهد بالصائم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقول: «مَثَلُ المُجاهدِ في سَبيلِ اللهِ، واللهُ أعلَمُ بمن يُجاهدُ في سَبيلِه، كمَثَلِ الصائمِ القائمِ، وتَوَكَّلَ اللهُ للمُجاهدِ في سَبيلِه بأنْ يَتَوَفَّاهُ، أنْ يُدخِلَهُ الجنةَ، أو يَرْجِعَهُ سالمًا مع أَجْرٍ أو غَنيمَةٍ». (رواه البخاري).

١٨- الصيام يكفر فتنة الرجل:

عن جرير بن عبدالله: «كنا جلوسًا عند عمرَ رضي الله عنه، فقال: أيُّكم يحفظ قولَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ في الفتنة؟ قلتُ: أنا، كما قاله. قال: إنك عليه - أو عليها - لجريءٌ، قلتُ: فتنةُ الرجل في أهله وماله وولده وجاره، تكفِّرُها الصلاةُ والصومُ والصدقةُ والأمرُ والنهيُ، قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنةُ التي تموجُ كما يموجُ البحرُ، قال: ليس عليك منها بأسٌ يا أميرَ المؤمنين، إنَّ بينك وبينها بابًا مغلقًا، قال: أيُكسرُ أم يُفتحُ؟ قال: يُكسر، قال: إذًا لا يُغلق أبدًا، قلنا: أكان عمرُ يعلم البابَ؟ قال: نعم، كما أن دون الغد الليلةَ، إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط. فهِبْنا أن نسأل حذيفةَ، فأمرنا مسروقًا فسأله، فقال: البابُ عمرُ». (رواه البخاري).

قال ابن حجر - رحمه الله - في « فتح الباري »: «قوله: (تكفرها الصلاة والصدقة). زاد في الصلاة « والصوم » قال بعض الشراح: يحتمل أن يكون كل واحدة من الصلاة وما معها مكفرة للمذكورات كلها لا لكل واحدة منها، وأن يكون من باب اللف والنشر بأن الصلاة مثلا مكفرة للفتنة في الأهل والصوم في الولد إلخ.

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يبلغنا وإياكم رمضان، وأن يتقبل منا صالح الأعمال.

الآن

المجلد الجديد لمجلة التوحيد

التوحيد
١٤٣٧ هـ
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

موسوعة علمية
لا تخلو منها مكتبة
ويحتاج إليها
كل بيت

١٤٣٧ هـ

سارع باقتناء
نسختك من
المجلد الجديد

☎ 23936517

الآن

مفاجأة سارة

موسوعة التوحيد

١٠٠٠ جنيه

- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية .
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، خمسة وأربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .

٤٥ عاماً
٤٥ عاماً
٤٥ عاماً

٤٥

٤٥ عاماً
٤٥ عاماً
٤٥ عاماً

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٥ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة . عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٠٤٥٦

مجلدات
مجلدات
مجلدات

بـ ١٠٠٠ جنيه فقط

مجلدات
مجلدات
مجلدات

٨ شارع قولة . عابدين
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٠٤٥٦